عادات المسلمين الأندلسيين عند الموت

د. سعيد سيد أحمد أبو زيد

جامعة المنوفية-مصر

تعددت العادات التي تمثلها الأندلسيون في حياتهم، عندما كان يدرك أحدهم الموت، الذي قدره الله على العباد، لقوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾[1]، ولقوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ...﴾[2]، فإذا ما وقعت مصيبة الموت، اضطرب أهل الميت، اضطراباً كان يخرجهم أحياناً عن الحدود الشرعية، فما كان يعاينه الميت قبل وفاته من مرض عضال يتألم منه، يثير مشاعر الأهل، وإذا ما حدث الموت لأسباب عدة تتراوح بين العلل والأمراض والكوارث الطبيعية والحوادث الفجائية، أو تعرضه للقتل، كان كل ذلك يلهب مشاعر الأهل، ولكن لتمسك هذا المجتمع الأندلسي المسلم، بالعادات والتقاليد التي رسخها الإسلام في النفوس، والتي تتفق مع الشريعة، كان الصبر لأهل الميت، واحتسابهم المتوفى عند الله، ويبدأون في تجهيز الميت وحمله لمثواه الأخير.

وهذه الظروف التي كان يمر بها أهل الميت، كانت تظهر العادات الأندلسية المختلفة التي كان يتمثلها الأندلسيون عند الموت، والتي تبدو في البكاء على الميت، ولبس اللون الأبيض حداداً على الميت، وقراءة القرآن الكريم، وقضاء دين الميت، وتنفيذ وصيته، وحمله لدفنه في بلده. إذا كان قد مات خارجها، ثم تغسيل الميت وتكفينه، والنداء عليه ليجتمع الناس للصلاة عليه، ثم حمله في جنازة حافلة إلى مثواه الأخير.

ويصاحب تلك العادات، عادات أخري طيبة، تمثلها الأندلسيون وجعلوها سلوكاً عاماً، مثل إرسال الطعام لأهل الميت، والدعاء والثناء على المتوفى، ورثاء الميت بأبيات شعرية معبرة وصادقة، والتصدق على الميت، والتبرك بأصحاب الكرامات، وزيارة القبور للترحم والعظة وهذا ما سوف نتناوله في هذا المبحث.

---

[1] سورة الواقعة ، آية ٦٠ .

[2] سورة النساء ، آية ٧٨ .

عادات الأندلسيين عند الموت:

إن الكثير مما يتصل بعادات الأندلسيين عند الموت، قد نظمته الشريعة الإسلامية وكان الأندلسي يحرص على التمسك بما قررته الشريعة، بقدر ما يستطيع، فإذا كانت الشريعة تحرم خروج النساء للجنازات، أو النواح على الميت، أو الذهاب إلى المقابر، أو غيرها، مما يأتي توضيحه في موضعه، فإن واقع الحال، يقول أن الأندلسيين، وخاصة النساء، كن يتجاوزن بعض ما يحدده الشرع في مثل تلك الظروف، وربما يعود هذا، إلى غلبة عاطفة النساء، وشدة حزنهن، ورغم ما كان يلقي على عاتق المحتسب وأعوانه من عبء تجاوز الحدود المقررة، إلا أن الواقع كان يحدث فيه بعض تلك التجاوزات ٠

البكاء على الميت :

عندما يموت الأندلسي، كان أهله يشتد حزنهم عليه، ويبكون بشدة على هذا الميت، وربما ارتفع هذا البكاء وتحول على نحيب، بل قد يصدر من النساء النواح على الميت، فكان إذا ما مات الأندلسي "سمع من داره العويل والنحيب" [1]، ويروي ابن حزم، أنه بعد موت أبيه الوزير في ذي القعدة، ٤٠٢ هـ/مايو ١٠١٢م، كانت هناك جنازة لبعض أهله، وقد وقفت "الواعية" [وهي امرأة تجلس بين النساء لتقدم لهن بعض المواعظ] وهن محزونات باكيات، بصوت مرتفع، ويبدو أن هذه الواعية كانت تبكي هي الأخرى على الفقيد الراحل، فيقول: "وقد ارتفعت الواعية، قائمة في المأتم، وسط النساء، في جملة البواكي والنوادب، فلقد أثارت وجداً دفيناً، وحركت ساكناً" [2].

وكان على المحتسب أن "يمنع النوائح، أن يكن حاسرات ، متكشفات الوجوه، ويزجر من يشجعهن على ذلك" [3] ومعنى هذا أن النواح من النساء مرفوض، وفقاً لقول

---

[1] ابن سعيد: اختصار القدح المعلي في التاريخ المحلي، اختصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل، تحقيق إبراهيم الإبياري، المطابع الأميرية، القاهرة ، ١٩٥٩م ، ص ٢١٨ ٠

[2] ابن حزم: طوق الحمامة في الألفة والإلاف، تحقيق د/ الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة ، ط٤، ١٩٨٥م ، ص ١٤٧ ٠

[3] السقطي: كتاب في آداب الحسبة ، تحقيق كولين وبروفنسال ، المطبعة الدولية ، باريس ، ١٩٣١ م، ص ٦٨٠ ٠

النبي – ﷺ – "النائحة ومن حولها في النار" [1]، كما يقول النبي – ﷺ – "من نيح عليه يعذب بما نيح عليه" [2]، والبكاء على الميت جائز من غير ندب ولا نياحة ولا شق جيب، ولا ضرب خد، لأن كل ذلك حرام [3] لقول النبي – ﷺ – : "ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية" [4]، كما كان يكره اجتماع النساء للبكاء على الميت سراً كان أو علانية، وإن لم يكن معه نوح، وقد رخص النبي – ﷺ – البكاء على الميت، ما لم يكن معه كلام يكره [5]، وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: مر النبي – ﷺ– بامرأة عند قبر وهي تبكي فقال : " أتقي الله واصبري " [6] ورغم تلك المحاذير الشرعية، إلا أن الواقع كما يتضح من كتب الحسبة، أن البكاء والنواح كان يصدر عن بعض النساء، ومن شدة ما هن فيه من الحزن، كن كاشفات الوجوه، حاسرات الرؤوس .

ولم يكن البكاء على الميت، يقتصر على النساء فقط، وإنما شارك الرجال في إظهار هذا الحزن على فراق الميت بالبكاء، فعندما توفي حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك، الذي ساند الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨ – ١٧٢ هـ ٧٥٥ – ٧٨٩م)، فولاه حكم طليطلة Toledo، التي كانت قاعدة الثغر الأدنى وتتبعها مدائن أخرى على ضفاف نهر التاجة[7] Tajo ،حتى مات في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، فشهد

---

[1] ابن الأخوة: كتاب معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق د/ محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسي المطيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٦م ، ص ١٠٦ .

[2] البخاري: صحيح البخاري ، جـ٢، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ط٣، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ص ٣٧٥ .

[3] ابن الأخوة : كتاب معالم القربة ، ص ١٠٧ .

[4] البخاري: صحيح البخاري ، جـ٢ ، ص ٣٧٧ .

[5] ابن عبد الرؤوف: في آداب الحسبة والمحتسب (من كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب) ، تحقيق/ ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، ص ٧٧ .

[6] البخاري: صحيح البخاري ، جـ٢ ، ص٣٥٥ .

[7] ابن أبي دينار: كتاب المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية ، ط١، ١٢٨٦هـ، ص ٢٩؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ٢٤ ، تحقيق د/ حسن نصار، مراجعة د/ عبد العزيز الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٨٣م ، ص ٢١٧ ؛ وانظر ، داود عمر

الأمير جنازته ومعه ستة من ولده، كان منهم هشاماً، وكان قاعداً من شدة حزنه، فقال لـه "ما هذا يا أبا الوليد ؟ أيدفن عمك وخير أهل بيتك وأنت قاعد، قم واشدد نطـاق الحـزن عليك، فلن ترى في ثوبك مثل أبي سليمان" فقام[1]، ولما توفى المقرئ النحوي المعـروف بابن البانش، علي بن أحمد بن خلف ابن محمد الأنصاري، من أهل غرناطة وقـد نيـف على الثمانين في ١٣ المحرم ٥٢٨هـ/نوفمبر ١١٣٣م، كان مشهده عظيماً، جمـع بـين الخاص والعام "وقد بكاه الناس" [2]، وعندما توفى سلطان غرناطة، أبو سـعيد فـرج بـن إسماعيل بن يوسف بن نصر في معتقله بشلوبانية، سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م، وقف إزاء باب لحده بمقبرة السبيكة، ولده، مظهراً الاكتراث لفقده" [3].

لباس الحزن:

كان من عادة الأندلسي، حينما تحضر الوفاة لأحد الأهل أو الأقارب أو الأصدقاء ، يلبسون الملابس البيضاء، حزناً على موتاهم، وقد استنوا هذه العادة منذ عهد بني أمية في الأندلس، وذلك مخالفة لبني العباس في لباسهم السواد [4] وهكذا تميـز الأندلـسيون فـي

عبيدان : بوادر ضعف العرب في الأندلس وسقوط الثغر الأدنى – طليطلة ، ص ١٥٢ – ١٥٤(مجلـة المؤرخ العربي، بغداد ، العدد ٣٤، السنة ١٣، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م)،

Ballester (R.) , *Histoire d'Espagne des Origines Anos Jours*, Paris, 1938, p.65; *Diccionario de Historia de España*, I, Madrid, 1950, p.107.

[1] ابن الأبار: الحلة السيراء، جـ١، تحقيق د/حسين مؤنس، دار المعارف، القـاهرة، ط٢، ١٩٨٥م، ص ٦٠ .

[2] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس ، في أخبار بلاد المغـرب وتـاريخ مدينـة فـاس، تصحيح وترجمة كارل يوحن تورنبرج، دار الطباعة المدرسية، أوبسالة، ١٨٤٣م، ص ١٤٢ .

[3] ابن الخطيب: كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة، جـ٤، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبـة الخـانجي، القاهرة، ط١، ١٩٧٥ – ١٩٧٧م، ص ٢٤٤ .

[4] ابن دحية: المطرب في أشعار أهل المغرب ، تحقيق مصطفي عـوض الكـريم ، مطبعـة مـصر ، الخرطوم ، ط١ ، ١٩٤٥ م ، ص ٨٥ ؛ ابن بسام : الذخيرة ، ق١ جـ٢ ، ص ٩١٤ .

حزنهم بلبس البياض خلافاً لهؤلاء المشارقة، الذين يلبسون السواد، وفي ذلك يقول النحوي أبو الحسن على بن عبد الغني الحصري [1] :

إذا كـــان البيـــاض لبـــاس حـــزن بأنـــدلس فـــذاك مـــن الـــصواب
ألم ترني لبـــست بيـــاض شـــيبي لأني قـــد حزنـــت علـــى الـــشباب

ويؤكد ذلك المقري فيقول [2] :

ألا يـــا أهـــل أنـــدلس فطنـــتم بلطفكـــم إلـــى أمـــر عجيـــب
لبـــستم فـــي مـــأتمكم بياضـــاً فجئـــتم منـــه فـــي زي غريـــب
صـــدقتم فالبيـــاض لبـــاس حـــزن ولا حـــزن أشـــد مـــن المـــشيب

كما يؤكد لبس البياض على المتوفى، الأديب أبي العباس أحمد بن قاسم، المحـــدث، فيقول [3]:

قالت وقد نظرت فروعهـــا شـــيب علـــى فـــودي منتـــشر
ما شأن تلك البيض، قلت لها مـــات الـــشباب فبـــيض الـــشعر

ويفهم من تلك الأبيات أن لباس البياض، كان خاصاً بالحزن على الميـــت، ولـــم توضـــح الأبيات أن هناك زياً آخر، بلون آخر للنساء، مما يجعلنا نعتقد أن البيـــاض كـــان لبـــاس الحزن للرجال والنساء على حد سواء، فهو لباس كل مصاب ، كما يقول الأديب أبو زيـــد عبد الرحمن بن شاطر السرقسطي. [4]

---

[1] ابن دحية : نفس المصدر والصفحة ؛ ابن سعيد : رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق د/ محمد رضوان الداية ، دار طلاس ، دمشق ، ط١، ١٩٧٧م، ص٢٦٢، ٢٦٣ .

[2] المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيره لسان الدين بـــن الخطيـــب ، جـــ٣ ، تحقيق د/ إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ م، ص ٤٤٠ ، ٤٤١ .

[3] ابن بسام : الذخيرة ، ق١ جـــ٢ ، ص ٩١٣ .

[4] ابن دحية : المطرب ، ص ٨٤ .

قـد كنـت لا أدري لأيـة علـة صار البياض لبـاس كـل مـصاب
حتى كساني الدهر سـحق مـلاءة بيضاء مـن شـيبي لفقـد شـبابي
فبذا تبين لـي لصـابة مـن رأى لبس البياض على تـوي الأحبـاب

ومن المؤكد أن هذا المجتمع، الذي كان يعي التعاليم الإسلامية، ويحـرص علـى الالتزام بها، وكانت النساء فيه خاصة، تدرك مدي الالتزام بالحداد الواجب ولباس الحـزن وعدم التمادي في ذلك، وفقاً للسنة النبوية الشريفة، فعن أم حبيبة، قالت سمعت النبي- ﷺ - يقول : "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث، إلا علـى زوج، فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشرا [1] وإذا لم تكن النصوص تـسعفنا فـي ذلـك بالنسبة للنساء الأندلسيات، خاصة وأن مصادرنا العربية، تحجم غالباً عن الحـديث فيمـا يتصل بالنساء حياء وحفظاً لهن، ومع ذلك يمكن القول أن الأندلسيات كـن يلتـزمن بمـا نصت عليه الشريعة الإسلامية، وأن كان يمكن القول أيضاً أن بعضهن كن يلبسن لبـاس الحزن على عزيز مات لديهن، ما بقي لهن من عمر ٠

قراءة القرآن الكريم:

كان القرآن الكريم، يقرأ، وكذلك بعض المواعظ لأهل الميت، سواء في المنـزل أو عند المقابر، ترحماً على المتوفى، ولبعث الصبر في نفوس أهل الميت حتى يخفف عـنهم وقع مصيبة الموت التي نزلت بهم، فكان من التعاليم المرعية، كما يقول السقطي : "وتقرأ النساء للنساء في المأتم، وأن قرأ عميان الرجال، فعلى حدة، ومن وراء حجاب، والنـساء من حيث يسمعن" [2]، بل كان لا يحبذ "أن يكون القارئ على الموتى شاباً ولا عزبـاً، وإن كان أعمى" [3]، وذلك منعاً لحدوث بعض الشرور والآثام ٠

---

[1] البخاري : صحيح البخاري ، جـ٢ ، ص ٣٦٩ ٠
[2] السقطي : في آداب الحسبة ، ص ٦٨ ٠
[3] ابن عبدون : رسالة في القضاء والحسبة (من كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب) ، تحقيق ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، ص ٢٧ ٠

وكانت القراءة على قبر الميت، ربما تتم بأكثر من شخص ولأيام طويلة، فعندما مات التاجر التونسي ، الذي نزل بغرناطة، محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي المعروف بابن الحلفاوي (ت ٧١٥هـ/ ١٣١٥م)، "وضعوا على نعشه وقبره رائحة المسك، وتبرك الناس بجنازته، وقصد قبره المرضي وأهل الحاجات، وبقي القراء يقرأون القرآن عليه مدة طويلة " [١] .

وكان أحياناً لا يقرأ القرآن على قبر الميت، نزولاً على وصية أوصى بها الميت قبل وفاته، فيؤخذ بها، فقد أوصى العلامة المقرئ أبو عبد الله محمد بن سعيد ابن على بن يوسف، الأنصاري الأندلسي الغرناطي، المتوفى في شوال ٦٤٥هـ/يناير ١٢٤٨م " أن لا يقرأ على قبره ولا يبنى عليه" [٢] .

قضاء دين الميت :

كان من عادة الأندلسيين، كما هي عادة كل مسلم، وفقاً لتعاليم الشريعة الإسلامية، إذا مات الميت، كان أول ما يبدأ به أهله، بعد أن يكفن الميت من ماله الخاص ، أن يقضي دينه ، إذا كان عليه دين ، لقول النبي – ﷺ– "نفس المؤمن مرتهنة بدينه حتى يقضي عنه" [٣] .

وصية الميت:

كان على أهل المتوفى، والمقربين منه، أن يعملوا على تنفيذ وصية الميت، ما أمكن ذلك، حتى ولو كانت غير مألوفة، فقد تكون الوصية طلب من المتوفى بأن يدفن في مكان معين له فيه ذكرى، فهذا الشاعر أبو بكر بن قزمان (ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)، القرطبي،

---

[١] ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ٣ ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

[٢] الذهبي : سير أعلام النبلاء، جـ٢٣ ، تحقيق مجموعة من العلماء بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٩٨٣ – ١٩٨٥م ، ص ٢٥٨ – ٢٦٠ .

[٣] ابن الأخوة : معالم القربة، ص ١٠١ .

إمام الزجالين، والذي كان مولعاً بشرب الخمر، حتى جاوز حدود الأخلاق المرعية، تمني أن يدفن عند جذع كرم فيقول [1]:

فإذا مـــت، مـــذهبي فـــي الـــدفن أني نرقد في كرمـــة بـــين الجفـــن
وتـــضم الـــورق علـــى كفـــن وفي رأسي عمامـــة مـــن زرجـــون

ودفن المطرف بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط، تحت الريحانة التـــي كان يشرب الخمر تحتها، وهو ابن سبع وعشرين سنة، وذلك في يوم الأحد ١٠ رمـــضان ٢٨٢ هـــ / أكتوبر ٨٩٥م [2] .

وقد يوصي المتوفى أن يكتب على قبره بعض أبيات الشعر، التي يؤخذ منها العظة والعبرة، أو يطلب فيها الميت أن يدعوا الناس له بالرحمة، فقد أوصى أحمد ابـــن أيـــوب اللحائي المالقي، كاتب بني جهور، أن يكتب على قبره بعض الأبيات منها[3]:

فيا زائرا قبري، أوصـــيك جاهـــدا عليك بتقوى الله في الـــسر والجهـــر
فلا تحسنن بالدهر ظنًا فإنـــــما من الحزم ألا يستنام إلى الدهـــر

كما أوصى الشاعر المشهور، على بن عطية بن مطرف، أبـــو الحـــسن اللخمـــي البلنسي، المعروف بابن الزقاق (ت ٥٢٨ هـــ/١١٣٤م)، أن يكتب على قبره، وهي آخـــر أبيات من الشعر قالها [4] .

أإخواننا والموت قد حـــال دوننـــا والموت حكم نافـــذ فـــي الخلائـــق
ســـبقتكم للمـــوت والعمـــر طيـــه واعلـــم أن الكـــل لابـــد لاحقـــي
بعيشكم أو اضطجاعي في الثـــرى ألم نك في صفو من العـــيش رائـــق

---

(1) المقري : نفح الطيب ، جـــ٧ ، ص ١٥ ، وانظر، إحسان عباس ، تـــاريخ الأدب الأندلـــسي عـــصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة ، بيروت ، ط٧، ١٩٨٥ م، ص ٢٢٦ ؛ بروفنـــسال : أدب الأنـــدلس وتاريخها، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥١م، ص ٣٤ .

(2) ابن الخطيب : الإحاطة ، جـــ٣ ، ص ٢٨٠ .

(3) كمال أبو مصطفى: مالقة الإسلامية في عصر الطوائف، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٩٠ م، ص ٧١ هـــ ٣ .

(4) ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات والذيل عليها، جـــ٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٤م ، ص ٥٠، ٥١ .

فمن مرّ بي فليمض بي مترحماً ولا يك منسياً وفاء الأصـــــادق

ولما مات الأديب والرياضي والموسيقى، العالم والطبيـب، صـاحب التـصانيف المشهورة، أبو الصلت، أمية بن عبد العزيز الداني، في يوم الاثنين مستهل المحـرم ٥٢٩ هـ/أكتوبر ١١٣٤م، بالمهدية، ودفن في المنستير، قال عند موته أبياتاً، أمر أن تنقش على قبره وهي [١]:

سـكنتك يـا دار الفنـاء مـصدقاً بـأني إلـى دار البقـاء أصـير
وأعظم ما في الأمر أنـي صـائر إلى عادل في الحكـم لـيس يجـور
فياليت شعري كيف ألقـاه عنـدها وزادي قليـل والـذنوب كثيـر
فـإن أك مجـزاً بـذنبي فـإني بـشر عقـاب المـذنبين جـدير
وأن يك عفو ثم عني ورحمـة فثم نعيـم دائـم وسرور

كما أوصى، أبو بكر بن مغاور الشاطبي، الكاتب (ت ٥٨٧هـ/١١٩١م)، أن يجعل من أبيات شاهد قبره، طلب المغفرة من الخالق، وثقة في عفوه، وأملاً في كرمه [٢]:

أيهـا الواقـف اعتبـاراً بقبـري استمع فيـه قـول عظـم رمـيم
أودعوني بطن الـضريح وخـافوا مـن ذنوبهـا كلومهـا بـأديمي
قلـت لا تجزعـوا علـى فـإني حـسن الظـن بـالرؤوف الـرحيم
واتركوني بمـا اكتـسبت رهينـا غلق الـرهن عنـد مـولي كـريم

وقد يوصي المتوفى بأن يكتب على قبره ما يشير إلى مهنته، فهذا وزيـر أشـبيلية وطبيبها الشهير أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر (ت ٥٩٥هـ/ ١١٩٥م) يوصي أن يكتب على قبره ما يشير إلى طبه ومعالجته للناس [٣] :

---

[١] ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، جـ٣، تحقيق د/ عامر النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م ، ص ٢٤٧، ٢٥٢ .

[٢] مصطفى الشكعة : الأدب الأندلسي ، موضوعاته وفنونه ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٦، ١٩٨٦ م ، ص ٦٤ .

[٣] المقري : نفح الطيب ، جـ٣ ، ص ٤٣٤ .

تأمـــل بفـــضلك يـــا واقفـــا ولاحـــظ مكانـــاً دفعنـــا إليـــه
تراب الـضريح علـى صـفحتي كـأني لـم أمـش يومـا عليـه
أداوي الأنام حذار المنـــون منها أنا قد صرت رهنـــا لديه

وقد يوصي الميت أن يدفن على حالة معينة، لما مر به من حادثة ما، أثرت فيـه، وأراد أن يعلم الناس بما حدث له، مع كتابة آيات قرآنية على قبره، تشير إلـى مـصابه، حدث مثل هذا، عندما مات العالم، سعيد بن يحيي بن سعيد الحميدي التجيبي، وهـو مـن أهل طليطلة، في سجنه في وبذة Huete، وكان ذلك فـي شـوال ٤٧٢هـ / مـارس ١٠٨٠م، فعهد أن يدفن بقيده، وأن يكتب في حجر و يوضع على قبـره. **﴿أن يمسسكم قرح، فقد مسّ القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾** آل عمران ١٤٠ فكان له ذلك [1].

وكان من وصايا الميت، أن يصلي عليه شخص معين، يكون مـن الـصالحين أو يوصي بطريقة معينة عند التكفين أو الدفن، وقد تنفذ وصيته، رغم كونها غير مألوفة، وقد تثير الدهشة أحياناً، وقد لا تنفذ لظروف طارئة، أو نسيان العمل بتلك الوصية، أو إغفالها وعدم تنفيذها لظروف قد تمر بالجنازة أو الدفن، فهذا أحد رجـالات الأنـدلس وقوادهـا، المنصور محمد بن أبي عامر *،عندما حضرته الوفاة، أوصى بمن اجتمع بهم، أن ينثروا

---

[1] ابن بشكوال : كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم وفقهائهم وأدبائهم، جـ١، نـشر الـسيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٣٤٨ .

* المنصور محمد بن أبي عامر: هو أبو عامر محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وعبد الملك جده ، هو الوافد على الأندلس مع طارق بن زياد في أول الـداخلين مـن العرب ، وهو ذو أصل عربي عريق ، وقد استقر بنو عامر في مدينة طرش Torrox بعد الفتح، وقـد اتصف المنصور بأنه كان طموحاً ، مضطرم النفس والعزم ، رفيع المواهب والخلال ، حسن التـدبير والسيرة ، عادلاً، كانت أيامه أعياداً لنضارتها وأمن الناس في عهده، وقد ارتبطت علاقته ببني أمية منذ أواخر عهد الخليفة الحكم الثاني ، المستنصر بالله (٣٥٠- ٣٦٦هـ/٩٦١- ٩٧٦م)،وقـد رسـخ هـذه العلاقة شخصان هما الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي، والملكة صبح زوج الخليفة الحكم الثـاني. التي يبدو أنها كانت على علاقة حميمة بالمنصور،مما مكنه من الارتقاء ثـم الـسيطرة علـى أمـور الدولة،إلى أن مات هشام المؤيد، فانفرد المنصور بحكم البلاد، وتخلـص مـن منافسيه،وأحـسن إدارة الدولة، وقاد العديد من الغزوات ضد النصارى،حتى خشوه، وكانوا يتقربون منه ، حتى أن ملك ناقـارا

Navarra ، سانشو أباركا Sancho Garces II، زوج ابنته التي عرفت باسم "عبدة " للمنصور فأنجب منها ولده عبد الرحمن، الذي أطلقت عليه أمه اسم "سانشويلو" Sancheuelo وحرفته العامة إلى "شنجول"، وتعد غزوة شانت ياقبSantiago ، من أعظم غزوات المنصور في منطقة جليفية Galicia في شعبان ٣٨٧هـ/ أغسطس ٩٩٧م، وكانت آخر غزواته هي غزوة قلعة النسور Calatanzor أو "قنالش والدير" كما يسميها العرب، في مقاطعة سوريا Soria شمالي إسبانيا، في ربيع ٣٩٢هـ/١٠٠٢م، وقد استكثر المنصور من العبيد الصقالبة، وولاهم البلاد، فكان منهم خيران وزهير العامريان في المرية، ومجاهد العامري في دانية Denia، ومظفر ومبارك ولبيب في بلنسية Valencia، وكلهم فتيان عامرية،نسبوا إلى المنصور محمد ابن أبي عامر، وقبل وفاة المنصور، أوصى ولده المظفر عبد الملك بالحفاظ على الدولة التي وحدها له، وأن عليه أتباع التوجيهات السليمة في إدارتها، ثم اشتد عليه المرض الذي كان يعاني منه، فمات في ليلة الاثنين ٢٧ رمضان ٣٩٢هـ/١٠ أغسطس ١٠٠٢م، وكما تقول المصادر الإسبانية " وفي قلعة النسورمات المنصور وفقد طبله "En Calatanzor murio el Manzor y perdió el Tambor" وقال راهب مسيحي في حولياته في سنة ١٠٠٢م، مات المنصور وذهب إلى الجحيم" وهذا يدل على ما كان يكنه النصارى الإسبان للمنصور من كره لشدة وطأته عليهم ، وغزواته المستمرة لهم، وقد دفن المنصور في مقبرة بمدينة سالم Medinacali (المقري: نفح الطيب، جـ١،ص ٣٣٩، ٤١٤، ٤١٥، جـ٢، ص ٣٠١، ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، جـ٤، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١م،ص ١٤٧؛ عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق د/ محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٣٦، ٤٥؛ ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، جـ٢، تحقيق كولان وليفي بروفنسال ود/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م، ص ٢٥١، ٢٥٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٩، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م، ص ١٧٦؛ ابن الخطيب: رقم الحلل في نظم الدول، طبع المطبعة العمومية، تونس، ١٣١٦هـ، ص ٥؛ ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، جـ١، تحقيق د/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م، ص ٢٠١، وانظر، عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس منذ الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص ٣٢٤؛ محمد عبد الله عنان: تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، دار المعارف، القاهرة، ط١ ١٩٧٤م، ص ١٩٩؛ رينهارت دوزي : المسلمون في الأندلس، جـ٢، ترجمة د/ حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، ص ١٤٦؛ سعيد أبو زيد: خيران العامري، صاحب مملكة المرية الأندلسية، التركي للطباعة بطنطا/ مصر، ١٩٩٨م، ص ١٨؛ أحمد مختار العبادى: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس ، ص ٤٨ ، ٨٧ ؛ نجاة المريني: وصايا وتوقيعات أندلسية من خلال مخطوط "رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير" لأبي القاسم محمد بن أبي العلاء بن

على كفنه، إذا ما وضع في قبره، الغبار الذي كان ينفضه عن ثيابه التي كان يحارب بهـا أعدائه، وكان يجمعه، وقد توفى في سنة ٣٩٢هـ/١٠٠٢م، ودفن بمدينة سالم * [١] .

وأوصى العالم والشاعر الطليطلي، عبد الله بن محمد بن عبد الـرحمن بـن أسـد الجهني (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، أن يكفن في ثلاثة أثواب، ليس فيها قميص ولا عمامة [٢]، وهذا يتفق مع سنة النبي – ﷺ– حيث قالت عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله – ﷺ– "كفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة * [٣]

وكان بعض الموتى يوصون بعدم استخدام القطن في الكفـن [٤]، وعنـدما تـوفى الشاعر المشهور أبو عامر بن شهيد، أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد (ت ٤٢٦ هـ / ١٠٣٥ م) ، بقرطبة ودفن بمقبرة أم سلمة، وصلى عليه جهور بن محمد بن جهور، وكان ابن شهيد قد أوصى أن يصلي عليـه أبـو عمر الحصار، الرجل الصالح فتغيب، كما أوصى أن يسن عليـه التـراب دون تـبن ولا

سماك العاملي، ص ٢٣٤، ٢٣٥ (مجلة التاريخ العربي، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، الربـاط، العدد الثالث، صيف ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م

Dozy(R.), *Spanish Islam*, London, 1913, pp. 458,461,483, http:// www.humnet,ucla, edu/santiago/timetext,

* مدينة سالم : مدينة قديمة عرفت في العصر الروماني باسم Ocilis، ولما فتح المسلمون إسبانيا، عمـرّ هذه المدينة زعيم مغربي اسمه سالم بن ورعمال المصمودي ، من قادة الرعيل الأول فسميت باسـمه، مدينة سالم، Medinaceli ، وفي عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر، صارت هذه المدينة قاعدة للثغر الأوسط، سنة ٣٣٥ هـ / ٩٤٦م ، في مواجهة إمارة قشتالة الناشئة Castilla ، وهي تقع شمال مدريد Madrid بنحو ١٥٣كم في مقاطعة سوريا Soria ، في أعالي وأواسط نهر دويـره Duero ، الذي يلي وادي الإبرو Ibero جنوباً، ويصب في المحيط الأطلسي غرباً، والمدينة بها قصر ومقبـرة للمنصور محمد ابن أبي عامر (العبادي : صور من حياة الحرب والجهـاد فـي الأنـدلس، ص ١٤٠؛ دوزي : المسلمون في الأندلس ، جـ٢ ، ص١٤٦) .

[١] عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص ٤٥ .

[٢] ابن بشكوال : الصلة، جـ١، ص ٣٨٥ .

[٣] البخاري : صحيح البخاري ، جـ٢، ص ٣٦٥ .

[٤] ابن بشكوال : الصلة ، جـ٢ ، ٥٧٧ .

خشب، ولكن أغفل ذلك [1]، وأوصى قاضي قضاة الشرق، ابن منتيل، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن عصام، أبو أمية (ت ٥١٦هـ/ ١١٢٢م)، عند وفاته أن يصلي عليه في أسطوانة داره، فأن كثر الناس لشهود الجنازة وحملها، أخرج إلى باب الدار، فإن زادوا حمل إلى المصلى، مخافة أن يقل متبعوه ، فيشمت حسدته، فكان الأمر بالعكس، وبقيت وصيته أحدوثة [2]، وأوصى أمير المسلمين المرابطي، علي بن يوسف بن تاشفين (ت رجب ٥٣٧هـ/يناير ١١٤٣م)، أن يدفن عند موته "مع قبور عامة المسلمين، فدفن بها في جملتهم" [3]، مع ما كان يتمتع به من مكانة عالية في الدنيا، كونه أميراً للمسلمين، وهذا يبين ما كان يتمتع به من تواضع ويدرك أن الجسد هنا أو هناك، سائر إلى التراب والآخرة للمتقين ٠

ومثلما كانت الزوجة يشتد حزنها على زوجها وتوصي أن تدفن معه، كذلك كان الزوج يوصي أن يدفن مع زوجته، فهذا الشاعر يحيي بن هذيل التجيبي، كانت زوجته قد توفيت قبله، وصحبه عليها وجد شديد وحزن ملازم، فلما أصابه فلج، جلس في بيت الوزير والمؤرخ لسان الدين بن الخطيب، فلما ثقل عليه المرض وقربت وفاته، استدعى ابن الخطيب، وكان لسانه لا يبين القول، وأملي على ابن الخطيب، وصية من مهم أمره:

إذا مت فادفني حذاء حليلتي ... يخالط عظمي في التراب عظامها
ولا تدفني في البقيع فإنني ... أريد إلى يوم الحساب التزامها
ورتب ضريحي كيفما شاء الهوى ... تكون أمامي أو أكون أمامها
لعل إله العرس يجبر صدعتي ... فيعلى مقامي عنده ومقامها

---

[1] الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٢٧ ٠

[2] ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي على الصدفي، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧م، ص ٦٤ ٠

[3] ابن عذاري: البيان المغرب، جـ٤، ص ١٠١؛ مجهول: كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، نشره وصححه/ ي٠ س٠ علوش، المطبعة الاقتصادية، رباط الفتح، ١٩٣٦م، ص ٦٩؛ ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ٤ ، ص ٥٩ ٠

فلما مات سنة ٧٥٣ هـ /١٣٥٢م، دفن بباب البيرة حذاء حليلته كما عهد [١]، وقد يوصي المتوفى أن يدفن بجواز قبر صاحب له، كانت تربطهما علاقة ود ومحبة، فقد أوصى الشاعر المشهور أبو عامر بن شهيد (ت ٤٢٦هـ/١٠٣٥م) أن يدفن بإزاء قبر صاحبه بقرطبة ويكتب على قبره بعض أبيات منها [٢] :

يا صاحبي، قم فقد أطلنا أنحن طول المدى هجور
فقال لي : لن نقوم منها ما دام من فوقنا الصعيد

حمل الميت لدفنه في بلده:

ويرتبط بوصية الميت، أن بعض الأندلسيين، كانوا يوصون قبل وفاتهم، أن يدفنوا عند موتهم في أوطانهم، وربما لم يوص البعض بذلك، ولكن لمكانتهم السياسية أو العلمية أو الأدبية، كان يتم نقل جثمانهم إلى موطنهم الأصلي، فهذا أمير المسلمين الموحدي، يوسف بن عبد المؤمن بن علي، يتعرض للقتل على يد النصارى في الأندلس، في شنترين Santarem * سنة ٥٨٠ هـ /١١٨٤م،حيث قتل من طعنة تحت سرته ، مات بعدها بأيام،

---

[١] ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ٤ ، ص ٤٠٠ ، ٤٠١ .

[٢] ابن خاقان: قلائد العقيان، المطبعة الخديوية ، بولاق ، مصر ، ١٢٨٣ هـ /١٨٦٦م ، ص ١٥٣ .

* شنترين : Santarem،مدينة قديمة، ترجع إلى العهد الروماني، من أعمال أشبونة Lisboa من كورة باجة Beja في غربي الأندلس، وهي حالياً من مدن ولاية استرامادورا Estramadora البرتغالية، تقع شمال شرقي إشبونة على قيد ٥٠كم منها،على الضفة اليسرى لنهر تاجة Tajo، على جبل عال عند المحيط الأطلنطي، وتطل على بساط أخضر مغطى بالمحاصيل والحدائق وغابات الزيتون، وكانت أيام المسلمين من المراكز الأمامية للجهاد ضد النصارى، وقد سقطت في يد النصارى للمرة الأولى سنة ٤٨٦هـ /١٠٩٣م،عندما استولى عليها ألفونسو السادس Alfonso VI، ملك قشتالة Castilla ، لكن استردها المسلمون واستمر سلطانهم بها حتى قامت مملكة البرتغال على يد ألفونسو هنريكيز Alfonso Enriqiz واستولى عليها فكان سقوطها الثاني سنة ٥٤٢هـ /١١٤٧م، وفي سنة، ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م، حاول الموحدون استردادها بقيادة الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، ففشلت المحاولة وقتل الخليفة أبو يعقوب تحت أسورها، وكان للمدينة شهرة واسعة بالعنبر والقماش الملون الغالي،وهي الآن مدينة متوسطة الحجم، بها شوارع وميادين حسنة،وشوارعها الجانبية ضيقة، ومنازلها منخفضة، وتغشيها ملامح أندلسية، رغم ثوبها النصراني وما زالت تحتفظ ببعض المعالم الأندلسية،مثل قطع من أسوار المدينة الإسلامية، ويوجد تحت السور عقد عربي يسمى "عقد أتمارما" Arco d'Atamrma ،

فحملت جثته وصبرت في تابوت ، بعث به إلى تينملل بالمغرب، حيث دفن هنالك مع أبيه وابن تومرت [1] .

وعندما توفى أبو الوليد بن رشد سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٩م، بمدينة مراكش Marruecos ، نقل إلى قرطبة Cordoba ودفن بها، فلما وضع التابوت الذي فيه جسده على الدابة، وضعت مؤلفاته تعادله من الجانب الآخر [2]، وكان للحفيد أبو بكر محمد بن أبي مروان بن أبي العلاء بن زهر، ولد هو أبو محمد عبد الله، مات مسموماً في مدينة سلا Sala بالمغرب، سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م، في الجهة المسماة برباط الفتح ودفن بها، وكان متوجهاً إلى مراكش، وكان طبيباً مثل أبيه ثم حمل جثمانه من مقبرته ونقل إلى إشبيلية، حيث دفن عند آبائه، خارج باب الفتح بإشبيلية، وكان حين مات شاباً يبلغ من العمر ٢٥ سنة [3] .

ولما مات الفقيه الكاتب، والأديب الشاعر، صاحب الفنون، القاضي أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن عمر بن حوط الله الأنصاري الحارثي، في غرناطة يوم

ويقال أنه الباب الذي دخل منه ألفونسو هنريكيز المدينة،عقب سقوطها في يد النصارى، كما أن موقع الكنيسة العظمى بني فوق موقع جامع القصبة القريبة من الأسوار الأندلسية(الحميري: صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق ليفي بروفنسال، بدون مكان طبع أو تاريخ، ص ١١٣، ١١٤؛ الإدريسي: صفة المغرب، ص ١٨٦، مجهول: ذكر بلاد الأندلس، جـ١، تحقيق لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٨٣م، ص ٥٣ ، ياقوت الحموي : ومعجم البلدان، جـ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٣٦٧؛ وانظر، محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، جـ٨، ص ٤٢٥- ٤٢٨؛
http://www.humnet.ucla.edu/santiage/timetext.http://www.lapaginadefinitiva.com/historia/49.

[1] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٤٢؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء، جـ٢١ ، ص ١٠٢ .

[2] ابن عربي: الفتوحات المكية في معرفة الأسرار الملكية، جـ٢، تحقيق د/ عثمان يحيى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢ - ١٩٧٧م ، ص ٣٧٣ .

[3] ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، جـ٣ ص ٣١٣- ٣١٥، وانظر؛ عبد الله محمد العمراني ، الطب الأندلسي، نظرياته وتطبيقاته http://www.islamset.com/arabic/aheritage/alomran

الخميس ٢ ربيع الأول ٦١٢هـ/ يونيو ١٢١٥م، نقل منها في تابوته يوم السبت ١٩ شعبان ٦١٢هـ/ نوفمبر ١٢١٥، إلى مالقة Malaga فدفن بها. [1]

وعندما مات أمير غرناطة، أبو الجيوش نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر سنة ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م، في وادي آش *Guadix، دفن بجامع القصبة *منها، ثم

---

[1] المقري، نفح الطيب ، جـ٤ ، ص ٣٣٤ .

* وادي آش : هي مدينة وادي آش أو وادي إيش، واسمها القديم Acciوتعرف اليوم باسم Guadix ، وتقع هذه المدينة على ضفة نهر وادي آش أو نهر فردس Rio Fardes ، علي مسافة ٥٣كم شمال شرقي غرناطة ، فوق منحدر ربوة صخرية عالية ، وتتميز بوفرة المياه ، وينحدر نهرها الذي هو فرع من نهر الوادي الكبير من جبال سييرا نيفادا Sierra Nevada ، أي جبال الثلج، وكان الأندلسيون يسمونها جبال شلير، وهي تعريف للتسمية اللاتينية Mons Solorius ، أي جبل الشمس وذلك لشدة لمعان قمة المغطاة بالجليد تحت أشعة الشمس صيفاً وشتاء، والمدينة لها سور من الحجارة، وقد عرفت بكثرة التوت والأعناب والزيتون والقطن، وعرف عن أهلها كثرة حمل السلاح، وتميز نساؤها بالجمال، وكانت أيام حرب غرناطة الأخيرة معقل محمد بن سعد المعروف بالزغل ، وكان يحكم منها جنوب الأندلس ، فلما أخذت المدن تسقط في يد النصارى، أضطر الزغل بعد أن استنفد كل وسائل المقاومة الباسلة أن يسلم المدينة إلى الإسبان، فسقطت في أيديهم قبل سقوط غرناطة بقليل، وكان ذلك في صفر ٨٩٥هـ / يناير ١٤٩٠ م ، ووادي آش اليوم ما زالت بمنعتها القديمة وأبراج قلعتها القديمة المسماة القصبة Alcazaba ، والمدينة تجمع بين القديم والحديث، وقسمها القديم الإسلامي في السهل أسفل الربوة، وقسمها الحديث فوق الربوة ، وهي مدينة زراعية صناعية، وأهم آثارهم الأندلسية الباقية هي القصبة وهي عبارة عن بقايا قلعة أندلسية عالية بها بعض الأبراج المتصلة بالسور، والكنيسة العظمى في وسط المدينة بين قسميها الأعلى والأسفل، وقد بنيت فوق موقع المسجد الجامع القديم (الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٢، ١٩٣؛ ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١ ، ص ١٠٩ هـ ٨ ، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (مجموعة من رسائله)، تحقيق د/ أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٧٣م ، ص ٢٨ هـ٤ ، ص ٥٠ ؛ وانظر، العبادي : صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس ، ص ٢٢٣ ، عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، جـ٨ ، ص ٢١٥ ، ٢١٦) .

* القصبة: هي القلعة Alcalá أو Castillo ، وتعرف عند الأندلسيين باسم القصبة Alcazaba ، وهي معقل المدينة ، تمتد في بنائها إلى جزء من أسوار المدينة ، الذي به الأبراج ، وغالباً ما تكون في مكان منيع ، وبعضها كان يحاط بالأسوار والخنادق، أو تكون على قمة جبل ، وهي تحتوي على مسجد، وتصل إليها المياه لمعيشة من فيها، ولأنها كانت مركز المدينة، فهي تشتمل على القصور

نقل إلى حضرة غرناطة في ٦ ذي الحجة ٧٢٢هـ/ديسمبر ١٣٢٢م، ودفن بمقبرة السبيكة.[١]

ولما مات شيخ الغزاة، أبا سعيد عثمان بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق ابن محيو، وكان في مالقة، في٢ ذي الحجة٧٣٠هـ/ سبتمبر١٣٣٠م، وقد نيف على الثمانين سنة، " نقل إلى غرناطة فوري بها" [٢]، ومات القاضي أحمد بن محمد بن أحمد بن قعنب الأزدي في برجة Berja * في ١٦ شعبان ٧٣٢هـ/أبريل ١٣٣٢م، فتم نقل جثمانه منها "في وعاء خشب ودفن بمقبرة ألبيرة" .[١]

ودواوين الإدارة، ويقيم فيها الوالي، حيث تدار دفة أمور المدينة منها (القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ٥، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، بدون تاريخ ، ص ٢١٧؛ وانظر، عبد العزيز سالم: المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦م، ص ١٥٧؛ سعيد أبو زيد: الحياة الاجتماعية في الأندلس، عصر دولتي المرابطين والموجدين (٤٨٤ - ٦٢٠هـ/١٠٩١-١٢٢٣ م)، شركة الهدى للطباعة بقويسنا/ مصر، ط١، ١٩٩٦م، ص٨٠، ٨١؛ المرية في عصر بني صمادح (٤٣٣- ٤٨٤هـ/١٠٤١- ١٠٩١، دار الحسين للطباعة بشبين الكوم / مصر، ط١، ٢٠٠٣ م ، ص ٨٣ ،

Balbas: El arte de Al–Andalus bojo los Almoravides, p. 417. (Al–Andalus, vol, XVII, 1952).

[١] ابن الخطيب: الإحاطة، جـ٣ ، ص ٣٤١ .

[٢] المقري: نفح الطيب ، جـ٤ ، ص ٧٩ .

* برجة: حصن كان يسمى قديما Virge وتسمى اليوم Berja ، وهي تقع في إقليم المرية Almeria ، إلى الغرب منها ، في جنوب شرقي إسبانيا ، تحيط بها الفواكة والجنات والحدائق ، وبها معدن الرصاص، وتوجد على نهر بهيج يعرف بوادي عذراء، كانت بهيجة للناظرين، كثيرة الأعناب، بسيطها متواضع ، وهي مرتفعة عن الغور ، كما اشتهرت بالحرير ، ولكنها كانت تعاني من قلة المياه (الإدريسي: صفة المغرب، ص ١٧٧ ؛ ابن سعيد : المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٨٨ ؛ ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص ٨١هـ٢؛ ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، جـ٢، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط١، ١٩٨١ م ، ص ٢٨٩؛ كناسة الدكان بعد انتقال السكان تحقيق د/ محمد كمال شبانة ، مراجعة د/ حسن محمود ، دار الكاتب العربي ، بدون تاريخ ، ص ١٦ ، وانظر ،

غسل الميت :

عند موت الأندلسي، كان على أهله أن يجهزونه للدفن في المقابر، فيؤخذ في غسله والغسل فرض كفاية، وحكم الشرع، أن الأولى أن يتولى ذلك أبوه، ثم جده ثم ابنه ثم ابن ابنه ثم عصباته على ترتيب العصبيات ثم الرجال الأجانب، ثم الزوجة، وربما قدمت الزوجة على الأب، والدليل أن أبا بكر الصديق- رضي الله عنه - وصى أن تغسله زوجته، وعلى المحتسب أن لا يمكن من يتصدى لغسل الموتى من الرجال والنساء إلا ثقة، أميناً، صالحاً، خبيراً، قد قرأ كتاب الجنائز في الفقه، وعرف واجباته وسننه ومستحباته[٢]، لذلك كان يستحب أن يكون الغاسل أقرب الناس إلى المتوفى، كما كان يغسله أهل الأمانة والورع[٣].

وإن كان المتوفى امرأة، غسلتها النساء الأقارب ثم النساء الأجانب، ثم الزوج، ودليل جواز غسله، أن علياً - كرم الله وجهه - غسل فاطمة - رضي الله عنها - زوجته، ولم ينكر أحد من الصحابة، وإن مات رجل وليس هناك إلا امرأة أجنبية أو ماتت امرأة وليس هناك إلا رجل أجنبي، تيمم الميت، لما في الغسل من النظر إلى المحرم، وقيل يغسل الميت مع حائل كالثوب، وقيل يدفن من غير غسل ولا يتيمم، وهكذا الخلاف في غسل الأنثى، وأما الصغير من الرجال أو النساء فيجوز للمرأة والرجل غسله، ويستر الميت في الغسل عن العيون بأن يكون في موضع ليس فيه إلا الغاسل ومن لا بد منه في معونته، ولا ينظر الغاسل إلا إلى مالا بد له منه، وأولي للناس أن يغسل الميت في قميص لأنه أستر، ويدخل يده من الكمين، ويتم غسل الميت بالماء والسدر، وفي الغسلة الأخيرة يجعل فيها كافوراً [٤]، وهذا ما ورد من سنة النبي - ﷺ- فعن أم عطية الأنصارية -

---

Balbas: *Los Contornos de las Ciudades Hispanomusulmanas*, p.485. (Al- Andalus , vol. XV, 1950) .

[١] ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١ ، ص ١٦٨ .

[٢] ابن الأخوة: معالم القربة، ص ١٠١ .

[٣] البولوي: أحكام الجنائز، مخطوط، دار الكتب المصرية ، ميكروفيلم رقم ١٤٨٩ ، مصورات خارج الدار ، أ ، ورقة ١٠ ، ٢٢ .

[٤] ابن الأخوة: معالم القربة، ص ١٠١ ، ١٠٢ .

رضي الله عنها – قالت : دخل علينا رسول الله – ﷺ– حيث توفيت ابنته فقال: اغسلنها ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك أن رأيتن ذلك بماء وسدر، واجعلن في الآخرة كافوراً أو شيئاً من كافور، فإذا فرغتن فأذنني فلما فرغنا، آذناه، فأعطانا حقوة فقال: أشعرنها إياها، تعني إزاره" [1]، ويغسل الميت بأن يكون البدء بميامنه ومواضع الوضوء فيه، وفقاً لسنة النبي– ﷺ– فعن أم عطية– رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله– ﷺ– في غسل ابنته "أبدأن بميامنها ومواضع الوضوء منها" [2] .

كان الأندلسي المتوفى، يوضع على قطعة، ربما من الخشب تعرف باسم "المشجب" يتم عليها غسل الميت وتكفينه [3] وقد يتم تغسيله "على فردة باب اقتطع من جانب الدار، مثلما حدث في تغسيل الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي[4] وكان يقوم بمهمة الغسل الأقارب وفقاً لما جاء في التشريع الإسلامي من تقديم الأقارب أولاً ثم الأجانب، ولأن كثيراً من الأقارب كانوا يجهلون كيفية الغسل، فإنهم كانوا يتركون هذه المهمة لرجل من الأجانب يعرف قواعد الغسل ويعرف باسم "الغاسل"[5]، وللثواب الكبير الذي كان يتمناه من يغسل الموتى، كان البعض من الأندلسيين يتطوع ليقوم بهذا العمل، فهذا هو قاضي مدينة سالم وغيرها، سعيد بن حسن الغاسل، وهو قرطبي توفى سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م ، كان يغسل الموتى من أولى النباهة، بل أنه كان مواظباً على الجهاد [6]، كما أن الراوي والفقيه القرطبي، أحمد بن عفيف بن عبد الله بن مريول بن جراح بن حاتم الأموي (ت ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م) "كان يغسل الموتى ويجيد غسلهم وتجهيزهم" [7] ولما مات الراوي عبد الله بن

---

[1] البخاري : صحيح البخاري ، جـ٢ ، ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

[2] المصدر السابق، ص ٣٥٧ .

[3] ابن بشكوال: الصلة ، جـ٢ ، ص ٥٧٧ .

[4] ابن خاقان: مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١، ١٩٨٣ م ، ص ١٦٠ .

[5] نفس المصدر والصفحة؛ ابن بشكوال : الصلة ، جـ٢ ، ص ٥٧٧ .

[6] ابن بشكوال: المصدر السابق، ص ٣٣٢ .

[7] المصدر السابق، جـ١ ، ص٧٥ .

عبد الرحمن بن معافي، من أهل شاطبة Játiva (ت٤٥٤هـ/١٠٦٢م) ، تولي غسله والصلاة عليه أبو محمد بن مفوز الزاهد [١].

وهذا الغسل هو ما كان يحدث في الظروف الطبيعية، أما في الأوقات التي تنتشر فيها الأوبئة والطواعين، أو تحدث السيول والزلازل، أو تقع الفتن والاضطرابات السياسية، وما ينتج عن كل ذلك من كثرة الموتى، ويدفن الناس أحيانا في جماعات في القبر الواحد، فإن ذلك كان يحدث دون غسل ولا صلاة [٢] وفي بعض الفتن كان أحياناً يمكن غسل الميت إذا ما عرف وكان له صيته، وقد لا يغسل حيث يقتل وتتناثر أشلاؤه فلا تعرف، فعندما مات ذو الوزارتين، أبو عبد الله محمد بن مسعود بن خالصة بن فرج بن مجاهد بن أبي الخصال الغافقي المعروف بأبي عبد الله بن أبي الخصال، في فتنة قرطبة سنة ٥٤٠هـ /١١٤٦م، ووجد مقتولاً، فاحتمل إلى الربض الشرقي بحومة الدرب، فغسل هنالك وكفن ودفن بمقبرة ابن عباس [٣]، وعندما قتل ذي الوزارتين محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيي بن الحكيم اللخمي، الإشبيلي الأصل، (ت ٧٠٨ هـ/١٣٠٨م) ولستولى الغوغاء على منازله ومتاع ماله وذخيرته من فرش وآنية وسلاح ومتاع، ومثل به قتلته، وطافوا بشلوه، وانتهب، فضاع ولم يقبر [٤] .

ولا يغسل ولا يصلى على هؤلاء الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل الله، دفاعاً عن بلاد الأندلس، ضد هجمات النصارى، والذين استشهد منهم الكثير في المعارك المختلفة، طوال عصر المسلمين في الأندلس، وهذا يتفق مع سنة النبي – ﷺ– فعن جابر بن عبد الله– رضي الله عنهما– قال: " كان النبي – ﷺ – يجمع بين الرجلين من قتلي أحد في ثوب واحد، ثم يقول : أيهم أكثر أخذاً للقرآن، فإذا أشير له إلى أحدهما، قدمه في اللحد،

---

[١] المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٤٢٣ .

[٢] مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، جـ١ ، ص١١٥ ، ١٥٦؛ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

[٣] ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ٢ ، ص ٤١٦ .

[٤] المصدر السابق ، جـ٢، ص ٤٧٤ .

وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة، وأمر بدفنهم في دمائهم، ولم يغسلوا ولم يصل عليهم. " [1]

تكفين الميت :

بعد أن يغسل الميت، يبدأ تكفينه، وتكفين الميت فرض كفاية، ويجب ذلك في ماله، فيؤخذ من ماله أولاً في النفقة على الكفن، ثم يقضي دينه، ثم تؤخذ بوصيته[2] وبذلك يكون تجهيز الميت في كفنه من ماله الخاص مقدماً على الدين والوصية، فإن كان لا يملك فمن الأهل، فإن كانوا لا يملكون فمن بيت المال، وأن كان الميت امرأة ولها زوج فعلى زوجها، لأن من وجبت كسوته على شخص وجب كفنه كالمملوك، فإن لم يكن لها مال ولا زوج، فعلى من تلزمه نفقتها، فإن لم يكن، فمن بيت المال، ويستحب أن يكفن الرجل في ثلاثة أثواب، إزار ولفافتين بيض، كما فعل برسول الله – ﷺ– فعن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله– ﷺ– كفن في ثلاثة أثواب يمانية، بيض سحولية *، من كرشف، ليس فيهن قميص ولا عمامة " [3]، وقيل أن الأثواب الثلاثة هي: إزار ورداء وقميص فإن كفن في خمسة أثواب فيها قميص وعمامة جاز، لأن ابن عمر كان يفعله في أهله، ولا تجوز الزيادة على الخمسة [4] وهذا يوحي إلينا بأن بعض الأندلسيين كان يزيد في كفنه، ربما إلى خمسة، مثلما كانت النساء تكفن، وربما أقل من ذلك ولكن لا يقل الكفن عن ثوب واحد لستر البدن ، وربما لا يكفن الرجل عند الضرورة وكان يراعي ألا يكفن الرجل في الحرير لأنه حرام [5].

---

[1] البخاري : صحيح البخاري ، جـ٢ ، ص٤٠٢ .

[2] المصدر السابق، جـ٢، ص٣٦٦ .

* سحولية، اسم قرية وهي " سحول " باليمن ، و " كرشف " وهو القطن (البخاري ، جـ٢ ،ص٣٦١هـ ١) .

[3] المصدر السابق، جـ٢، ص ٣٦١؛ ابن الأخوة ، معالم القربة ، ص ١٠٣.

[4] ابن الأخوة: نفس المصدر والصفحة.

[5] نفس المصدر والصفحة.

أما النساء، فكن يكفن في خمسة أثواب، إزار وخمار وذرع أي قميص، ولفـــافتين، ويكره الحرير للنساء لأنه إسراف، واقل الكفن ثوب واحد ساتر لجميع البدن، فلو أوصـــى بما دون ذلك لم ينفذ لأنه حق الشرع [1] .

وقد سار الأندلسي على هذا النهج التشريعي في التكفين ، وكانوا يتمثلون بالنبي – ﷺ– مثلما رأينا العالم والشاعر الأندلسي الطليطلي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بـــن أسد الجهني (ت ٣٩٥هـــ/١٠٠٤م)، يوصي بأن "يكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قمـــيص ولا عمامة" [2]، ولكن نجد أيضاً بعض من هؤلاء الأندلسيين يكون لهم بعض الوصايا فـــي التكفين، لا تخل بالكفن الشرعي، فهذا عالم العربية واللغة والتـــاريخ، الفقيـــه والمحـــدث والراوي، محمد بن عبد الملك بن موسى بن موسى بن عبد الملك بن وليد، أبو جعفر بـــن أبي حمزة المرسي، عندما توفى في ١٤ رمضان ٥٣٣هـــ/مايو ١١٣٩م، " كفن في ثياب صلى فيها أربعين سنة" [3]، وهذا قاضي قرطبة ، أحمد بن محمد بن عمر التميمـــي، أبـــو القاسم بن ورد ، عند وفاته في رمضان ٥٤٠هـــ / فبراير ١١٤٦م ، " كفن في برد حبرة "[4].

ولما مات العالم الصالح عمر بن حسين بن محمد بن نابل الأموي، في وباء قرطبة في ٨ ذي القعدة (٤٠١ هـــ/ يونيو ١٠١١م، عهد إلى ابن ابنه " أن يدرجه في كفـــن دون قطن، فكره وليه خلاف العادة وأحضر القطن مع الكفن، فلما سواها الغاسل فوق المشجب، ووضع القطن فوقه للبخور، طارت شرارة من المحجر إلى القطن فأحرقته " [5]، ومعنـــى ذلك أنه كان من عادة الأندلسيين في الكفن، أن يضعوا في الكفن قطناً، بـــل أنهـــم كـــانوا

---

[1] نفس المصدر والصفحة .

[2] ابن بشكوال : الصلة ، جـ١ ، ص ٣٨٥ .

[3] السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جـــ١ ، تحقيق محمد أبـــو الفـــضل إبـــراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٣٣٠ .

** برد حبرة : بمعنى ثوب يماني مخطط أو أخضر (البخاري : صحيح البخاري ، جـــ٢ ، ص ٣٥هـــ ٠٦) .

[4] ابن الأبار : المعجم ، ص ٢٣ .

[5] ابن بشكوال : الصلة ، جـــ٢ ، ص٥٧٧ .

يقومون بتبخير هذا القطن في الكفن قبل أن يلفوه حول الميت، ويبدو أن هذا التبخير كان بغرض منع انتشار الأوبئة،وإعطاء رائحة طيبة للكفن.

وعندما يموت الأندلسي في ظروف غير طبيعية، كان يكفن أحياناً وفقاً لما جاء في الشريعة الإسلامية، وربما لا يكفن ويدفن بما عليه من ثياب نتيجة لتلك الظروف، أو ربما لا يكفن لأنه لا توجد له جثة وبالتالي لا يوجد له قبر، فهذا العالم والراوي، محمد بن قاسم بن محمد الأموي القرطبي، يقتل على يد البربر في الفتنة القرطبية سنة ٤٠٣هـ / ١٠١٢م، فقام بنقله إلى المقبرة، أحد الأهالي ويدعى "ابن يعيش"، فواراه التراب، وهو في حالة من الخوف، مثلما كل الناس في تلك الحالات، وفعل به ما يفعل بالشهداء، فدفنه في ثيابه المختصرة، دون غسل ولا صلاة عليه.[1]

ولما قتل يدير بن حباسة (ت ٤٣١هـ/١٠٣٩م)، لتآمره على أمير غرناطة باديس بن حبوس الصنهاجي *، ألقوه في قبر محفور وواروه من غير غسل ولا كفن ولا صلاة

---

[1] المصدر السابق ، ص ٧١٩ .

* باديس بن حبوس: عندما توفى صاحب غرناطة ، حبوس بن ماكسن بن زيري سنة ٤٢٨هـ /١٠٣٦م خلفه ابنه باديس بن حبوس في حكم غرناطة، وقد عرف باديس بالهمة والشجاعة والحزم، وحمل لقب "الحاجب" و"المظفر بالله" و "الناصر لدين الله" و "واتخذ من إسماعيل بن نغرلة اليهودي وزيراً له، لكن لغدر اليهودي به، قتله باديس سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م، وقد أقام باديس علاقات مع ملوك الطوائف Los Reyes de Taifas في عصره، وكانت له علاقة مميزة مع مملكة المرية، وصاحبها زهير العامري، لكن زهيراً كانت له أطماع في أراضي غرناطة، مما أدى إلى اصطدامه بباديس وهزيمته وقتله بقرية ألفنت خارج غرناطة، في يوم الجمعة عقب شوال ٤٢٩هـ/ ٤ أغسطس ١٠٣٨م، لكن تواصلت هذه العلاقة مع بني صمادح، حكام المرية، فكان حليفاً لأبي الأحوص معن محمد بن صمادح، ثم حليفاً لابنه المعتصم بن صمادح ، بغرض تفتيت العصبة العربية الأندلسية،لأن باديس كان رأس العصبة البربرية في الأندلس، وظل كذلك حتى توفى ليلة الأحد ٢٠ شوال ٤٦٥هـ/ ٢٩ يونيو ١٠٧٣م، وتولى حفيده عبد الله بن بلكين بن باديس ، حكم غرناطة حتى سقطت على يد المرابطين سنة ٤٨٣هـ /١٠٩٠ م. (الأمير عبد الله بن بلكين: مذكرات الأمير عبد الله، آخر ملوك بني زيري بغرناطة، المسمى بكتاب "التبيان"، تحقيق ونشر ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٥٥م ، ص ٣٤؛ ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص ٤٤٣ – ٤٤٨؛ ابن بسام: الذخيرة ، ق١ جـ٢ ، ص ١١٦، ابن سعيد: المغرب ، جـ٢، ص ١٩٥ ؛ ابن الخطيب : كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، وما يجر ذلك من شجون الكلام ، نشره وصححه ليفي بروفنسال، المطبعة الجديدة، رباط الفتح ، ١٣٥٣ هـ

[1]، وعندما اتفق أحمد بن حمود، مع الثائر أبو الحسن على بن عمر ابن أضحى الهمداني سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م، على قتال المرابطين وحصارهم في قصبة غرناطة أشهراً، وفي أثناء ذلك جرح المرابطون ولد ابن حمود وأسروه وأدخلوا القصبة، فمات من جرحه ، فغسلوه وكفنوه، وجعلوه في نعش ودفعوه إلى أبيه فدفنه [2]، وتلك صفة طيبة للمرابطين ، احتراماً منهم للميت، وعملاً بما شرع للموت من غسل وتكفين وجنازة، وحمل الميت لأهله لدفنه وأن كان قتال المسلم للمسلم حرام.

وعندما وجد مقتولاً، ذو الوزارتين، أبو عبد الله بن أبي الخصال ، في يوم السبت ١٢ ذي الحجة ٥٤٠هـ/مايو ١١٤٦م، احتمل إلى الربض الشرقي بقرطبة، بحومة الدرب فغسل وكفن ودفن بمقبرة ابن عباس [3]، ولما قتل ذو الوزارتين محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيي بن الحكيم اللخمي الإشبيلي (ت ٧٠٨هـ/١٣٠٨م)، واستولت الغوغاء على منازله ومثلوا بجثته وطافوا بأشلائه وانتهبت فضاع ولم يقبر [4] وعندما طعن برمح، الأديب الزاهد محمد بن خميس بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن خميس الحجري، المعروف بابن خميس، في غرناطة، في يوم عبد الفطر سنة ٧٠٨هـ/مارس ١٣٠٩م، "وطرح بالعراء خارج باب الفخارين لا يعلم قبره، لما كان من هرج في تلك الأيام" [5].

/ ١٩٣٤م ، ص ٢٦٤ – ٢٦٧؛ ابن الدلائي : نصوص عن الأندلس من كتاب " ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان ، والمسالك إلى جميع الممالك"، تحقيق د/ عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد ١٩٦٥ م، ص ٨٤ ؛ الناصري: كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، جـ٢، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء،١٩٥٤م ،- - ص ٥٣؛ وانظر محمد توفيق بلبع : غرناطة وقصر الحمراء، مقدمة في تاريخ المدينة والأهمية المعمارية للقصر، ص ٧٢، ٧٣ .(المجلة التاريخية المصرية، المجلد ١٦، ١٩٧٩ م)
Albornoz: *La España musulmana, segun los autores Islamitas y. Crsistianos medievales*, tomo II, Florida, *Cordoba*, Buenos Aires,pp.73–76, Scott: *Histisoy of the Moorish Empire in Europe*, vol II , Philadelphia, London, 1904 , p. 134).

[1] ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١ ، ص ٤٥٨ .

[2] ابن الأبار: الحلة السيراء، جـ٢، ص٢١٣ .

[3] ابن الخطيب: الإحاطة، جـ٢، ص ٤١٦ .

[4] المصدر السابق، جـ٢، ص ٤٧٤ .

[5] المصدر السابق، جـ٢، ص ٥٦٢ .

وكان من يموتون وقت الأوبئة والطواعين، أو الكوارث الطبيعية، أو في معـارك القتال مع النصارى، يعاملون معاملة الشهداء، فيوارون التراب من غير غـسل ولا كفـن ولا صلاة [1] .

النداء على الميت:

كان من عادة الأندلسيين، إذا مات الأندلسي، ويأخذ أهله فـي تجهيـزه للـدفن، أن ينادي على الميت، لحضور الجنازة والصلاة على الميت وكان "يمنع المؤذنون من النـداء على الجنائز في داخل المسجد، ويتركون على بابه" [2]، وكان هذا النـداء يوضـح نـوع المتوفى، ذكرًا أم أنثى[3] فعندما مات المعتمد بن عباد، صاحب مملكة إشبيلية فـي ربيـع الأول ٤٨٨هـ/مارس ١٠٩٥م، بعيداً عن وطنه، حيث نفي إلى بلاد المغرب، فكان مـن النادر الغريب "أنه نودي في جنازته بالصلاة على الغريب، بعد عظيم سلطان" [4]، وعندما مات عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي الرجـال، المعـروف بابن برجان سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م، وهو من الزهاد المتصوفين *، وكان قد طلبـه أميـر المسلمين على بن يوسف من قرطبة إلى حضرة مراكش، لانتقاد الفقهاء له علـى بعـض المسائل، فلم يذهب، فأمر أمير المسلمين أن يطرح على المزبلة ولا يصلي عليـه عنـدما مات، لكن أرسل عبد أسود فنادى جهاراً "احضروا جنازة فلان" وجهزت جنازته وحـضر الناس فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه، فلما علم أمير المسلمين قال: "من عرف فـضله ولـم

---

[1] مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، جـ١ ، ص ١٥٦ ؛ ابن بشكوال: الصلة ، جـ٢ ، ص ٧١٩ .

[2] ابن عبد الرؤوف : في آداب الحسبة والمحتسب ، ص ٧٤ .

[3] ابن عبدون : في القضاء والحسبة، ص٢٣ .

[4] ابن بسام : الذخيرة، ق ٢ جـ١ ، ص ٥٧ .

* المتصوفون : ينسبون إلى الصوفية، وسميت الصوفية لصفاء أسرارها ونقاء آثارها ، وقيل الصوفي من صفا قلبه لله ، وقيل الصوفي من صفت لله مسألته، وقيل إنما سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بـين يدي الله ، وقيل سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد الرسـول- ﷺ- ، وقال قوم إنما سموا صوفية للبسهم الصوف (أبو بكر محمد االكلاباذي: التعرف لمـذهب أهـل التصوف، تحقيق محمود أمين النواوي ، مكتبة الكليات الزهرية، القـاهرة، ط٢، ١٩٨٠ م، ص ٢٨ ، ٢٩) .

يحضر جنازته فعليه لعنة الله" ودفن بمراكش برحبة الحنطة، وهو الذي تقول لـــه العامـــة "سيدي أبو الرجال".[1]

وعندما استشهد أمير المؤمنين، أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علـــي، بعـــد طعنه في معركة شنترين Santarem سنة ٥٨٠هـــ/١١٨٤م، ومات بعد ليلتين أو ثلاثـــة، سمع النداء فيما بين العشاعين في المعسكر كله "الصلاة على الجنـــازة، جنـــازة رجـــل"، فصلى الناس قاطبة على الجنازة، لا يعرفون على من صلوا، ولم يعلم بذلك إلا خـــواص أهل الدولة، وساروا به حتى بلغوا إشبيلية فنزلوها، فصبروه وبعثوا به في تـــابوت مـــع كافور الحاجب مولاه إلى تينملل، فدفن هناك مع أبيه عبد المؤمن بن علي والمهدي محمد بن تومرت، الزعيم الروحي للموحدين، وكانـــت وفاتـــه فـــي يـــوم الـــسبت ٧ رجـــب ٥٨٠هـــ/أكتوبر ١١٨٤م [2]

الصلاة على الميت:

إذا ما فرغ من تجهيز الميت للدفن، ينادي بالصلاة على الميـــت، فيتقـــدم للـــصلاة المتوضئون من الرجال والشباب، وقد تكون هذه الصلاة في أسطوان دار المتوفى، أو أمام باب داره، أو في مصلى قريب من داره، أو في مسجد له، أو في مسجد البلد التي يـــسكن بها [3] أو حتى على باب المسجد الجامع [4] أو في المسجد الجامع نفسه[5] وإن كـــان مـــن رجالات الحكم في الدولة، كانت تقام الصلاة في قصر الحكم، حيث يدفن الحاكم في تلـــك

---

[1] الداوودي : طبقات المفسرين، جـــ١، دار الكتـــب العلميـــة، بيـــروت، ط١ ، ١٩٨٣ م، ص ٣٠٧ ؛ الناصري : كتاب الاستقصا ،ج٢، ص ٧٦ ، ٧٧ .

[2] عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٢١٨؛ وانظر،علي الصلابي : إعلام أهل العلم والدين بـــأحوال دولة الموحدين ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٣ م، ص ١١٦ .

[3] ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ق١، تحقيق إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب المـــصري/ دار الكتـــاب اللبناني، القاهرة / بيروت ، ط١، ١٩٨٩ م، ص ٢٦٩، ٢٧٠؛ المعجم ، ص ٤٦ .

[4] ابن الآبار : التكملة ، ق١، ص ١٢٩ .

[5] ابن الأبار: المعجم، ص ٢٨١ ؛ المقتضب من كتاب تحفة القادم ، تحقيـــق إبـــراهيم الإبيـــاري ، دار الكتب الإسلامية، القاهرة – بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٢م ، ص ١٢٥ .

الروضات التي كانوا يقيمونها لأسرتهم [1] أو يصلي عليه في مسجد خاص بالقصر، ربما يعرف كما في مملكة غرناطة في عهد سلاطين بني الأحمر باسم "المصلى العيدي" [2].

كان جثمان الميت يسجى في اتجاه القبلة، ثم يقف الإمام، ويصطف الناس خلفه، وتقام الصلاة على الميت وقوفاً، وتكون من أربع تكبيرات، وفقاً لسنة النبي الكريم – ﷺ، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: نعي النبي – ﷺ – على أصحابه النجاشي، ثم تقدم فصفوا خلفه، فكبرّ أربعاً" [3].

وكان يتقدم الصلاة على الأندلسي الميت، الأب على أولاده، كما يتقدم الابن للصلاة على أبيه، أو يصلي الأخ على أخيه، فإن لم يكن كان يؤخذ بوصية المتوفى فيمن يريد أن يصلي عليه، أو يتقدم أحد الصالحين أو الفقهاء للصلاة على الميت حيث أن هؤلاء الفقهاء كانت لهم مكانتهم في بلاد الأندلس طوال عصور المسلمين بها، وشاركوا في كل نواحي الحياة بها، فضلاً عن كونهم أهل دين وورع[4]، والمصادر تعطينا كما هائلاً من الأمثلة على ذلك ولكن سنكتفي بذكر بعض ما يوضح لنا تلك المواقف.

وعندما كان يموت الابن، كان يتقدم أباه للصلاة عليه، فعندما توفى محمد بن أحمد بن مبارك المعروف بالقطان سنة ٥١٥هـ/١١٢١م، "صلى عليه أبوه" [5]، وكان سيف الدولة أحمد بن هود، حاكم سرقسطة Zaragoza، وتسمية المصادر الاسبانية Zafadola، من أتباع ألفونسو المحارب Alfonso le Batailleur ملك أراجون Aragon، ومتعاوناً مع الثائر ابن أضحى، على قتال المرابطين ومحاصرتهم في قصبة غرناطة

---

(1) ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٥١ .

(2) ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ٣ ، ص ٣٤١ .

(3) البخاري: صحيح البخاري ، جـ٢ ، ص ٣٨٩ .

(4) Descola (Jen): *Histoire d' Espagne*, Paris, 1959, p.192, Miranda (A.H.): *La Invasion de los Almoravides y la batalla de Zallaka*, p. 27 (Hesperis, Tome XI, 1953)

(5) ابن بشكوال : الصلة ، جـ٤ ، ص ٨٣٦ .

شهراً، وفي أثناء ذلك جرح المرابطون ولد بان هود وأسروه وأدخلوه القصبة فمات من جراحه، فغسلوه وكفنوه وجعلوه في نعش ، ودفعوه إلى أبيه، فصلى عليه ودفنه [1] .

وعندما كان يموت الأب، كان يتقدم للصلاة عليه أكبر أبنائه، فعندما مات الفقيه الأندلسي القرطبي، يحيى بن يحيي الليثي (رجب ٢٣٤هـ/ يناير ٨٤٩م)، تقدم للصلاة عليه القاضي محمد بن زياد، وتقدم أيضاً عليه ولده إسحاق بن يحيى، فكبر القاضي وكبر إسحاق، حتى بلغوا إلى السلام، فسلم القاضي، وسلم إسحاق، فلما انقضت الصلاة حدث ما يشبه المشادة بين الرجلين، بسبب التقدم للصلاة على الفقيه الليثي [2]، حيث كان يرى إسحاق أنه أحق بالصلاة على أبيه المتوفى، ولما مات والد أحمد بن إبراهيم بن محمد بن باز المعروف بابن القزاز بطليطلة سنة ٢٧٤هـ/ ٨٨٧، وقد أوصى أن يصلي عليه أحمد بن خالد، فلما قدم نعشه، وعرضت الصلاة عليه، رفض وقال: قد قال أبو إسحاق: يصلي عليّ أحمد، ولم يبين بأكثر، وابنه أحمد هو أحق فصلى عليه ابنه [3] وما سبق يبين كيف كان الأندلسي يراعي التقاليد المتعارف عليها في ذلك المجتمع المسلم .

وعندما مات كبير المفتين بقرطبة، محمد بن عتاب بن محسن سنة ٤٦٢هـ/١٠٦٩م، "صلى عليه ابنه عبد الرحمن بن محمد" [4] ولما مات القاضي أبو الوليد الباجي (ت ٤٧٤هـ/١٠٨١م)، في الرباط * بمدينة المرية، "صلى عليه ابنه أبو

---

(١) ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٢١٣ .

(٢) الخشني : قضاة قرطبة ، تحقيق إبراهيم الإبياري ، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢ م ، ص ١٢٨ ، ١٢٩؛ ابن الفرضي : تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ، جـ٢ ، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٥٤م ، ص ١٧٨ .

(٣) ابن الأبار : التكملة ، ق١ ، ص٢١ .

(٤) ابن بشكوال : الصلة ، جـ٣ ، ص ٨٠٠ .

* الرباط : بمعنى الثبوت واللزوم ، وهو من ربط النفس، أي ملازمة الثغور والثبوت بها، ويشترط في المرابط النية والزاد الحلال وتمام العدة لمواجهة العدو، والأربطة في حد ذاتها نوع من الثكنات العسكرية، التي يقيم فيها المجاهدون ، وقد انتشرت هذه الأربطة في شمال أفريقيا وفي الأندلس ، ويغلب أن يكون تخطيطها على شكل مستطيل حوائطه الخارجية قوية مزودة بأبراج، وفي الداخل فناء تحيط به حجرات صغيرة للسكني كما يوجد به مسجداً، ويقوم على حراسته ليلاً السمار والحراس، وللرباط مراقب عالية تعرف بالمنائر أو الطلائع ، ولم تكن مهمة الرباط الجهاد فقط ولكن كان أيضاً

القاسم" [1]، وعندما توفى القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (نو القعدة ٥٢٠هـ/ نوفمبر ١١٢٦م)، صلى عليه ابنه الفقيه أبو القاسم، ثم دفن بمقبرة ابن عباس شرقي مدينة قرطبة [2]، ولما مات القاضي أبو القاسم بن حمدين (ربيع الآخرة ٥٢١هـ/ أبريل ١١٢٧م)، صلى عليه ابنه أبو عبد الله [3]، وعندما مات إمام العربية، المقرئ، والنحوي، المعروف بابن الباذش على بن أحمد ابن خلف بن محمد بن الباذش الأنصاري، في

ملجأ للسكان في حالة هجوم للعدو، كما قد يكون نوعاً من الخانقاه، يحيا أصحابه بإرشاد شيخ زاهد، وقد يكون من وسائل نشر الإسلام ، وقد اقتبس الإسبان نظام المرابطة من المسلمين، ودخل اللفظ إلى الإسبانية ، ومنه اشتقت كلمة Rebats أي الرباط ، Arrebator, أي يرابط ويقاتل، Tocar el rebato, وتعني الإنذار بغارة معادية، واستخدموا نفس الأدوات بأسمائها العربية مثل المنارة Almenara والطلائع Atelaya والنفير Anafil إلا أنهم زادوا عليها استعمال النواقيس التي تقابل الطبول عند المسلمين، وقد انتشرت كثير من هذه الأربطة حول مدينة المرية، منها رباط القبطة، وقد أسس هذه القابطة بيت بني أسود وهو المعروف اليوم باسم Cabo de Gata، ومنها رباط الخشني، ورباط عمروس . (ابن الأبار: التكملة ، ق١، ص١٠٤)؛ ابن الزبير: صلة الصلة، جـ٧، صححه ليفي بروفنسال، الرباط، ١٩٣٧م، ص ٢٤، الإدريسي، صفة المغرب ، ص ١٩٨، البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثني ، بغداد، بدون تاريخ، ص ٨٩ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى، ص ٢١٧؛ ابن هذيل العذاري : تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، جـ١، نشره لويس مرسيه، المطبعة الشرفية لبولس جوتنهر، باريس، ١٩٣٢م ، ص٨ ؛ العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص ٢٩٧ ، ٣٠١؛ عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية، قاعدة أسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٤م، ص١٣١، Balbas: *Almeria Islamica*, p. 27 (Al-Andalus, vol XX11,1957).

[1] ابن بشكوال : الصلة ، جـ١، ص ٣١٩ .

[2] ابن خير: فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، نسخ وطبع فرنسشكة قدارة زيدين وتلميذه خوليان ريبيرا طرغوة منشورات المكتب التجاري، بيروت، ومكتبة المثني ببغداد، ومؤسسة الخانجي بالقاهرة، ط٢ ، ١٩٦٣م، ص ٤٥٥؛ ابن بشكوال : الصلة ، جـ٣ ، ص ٨٤٠ .

[3] ابن سعيد : المغرب ، جـ١ ، ص ١٦٢ .

غرناطة ١٢المحرم ٥٢٨هـ/نوفمبر ١١٣٣م، "صلى عليه إثر صلاة العصر، ابنه الأستاذ أبو جعفر"، مع جمع عظيم من الناس، من الخاصة والعامة [١] .

وكذلك عندما كان يموت الأندلسي، كان يتقدم للصلاة عليه أخ له، فعندما مات قاضي الجماعة بقرطبة، أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان الأموي (رجب ٤١٣هـ/سبتمبر ١٠٢٢م)، تقدم "للصلاة عليه أخاه أبا حاتم"[٢]، ولما مات والد رئيس المحدثين بقرطبة، حسين بن محمد بن أحمد الغساني، أبو علي الغساني، فجأة سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م، وتولى ابنه أبو عليّ الصلاة عليه، وهو أيضاً عندما توفى في ١٢ شعبان ٤٩٨هـ/أبريل ١١٠٥م، صلى عليه أخيه بمدينة غرناطة [٣].

وقد يتقدم للصلاة على الميت الأندلسي، بوصية أو بدون وصية، أحد الصالحين، أو من ذوي النباهة والمكانة، وربما صلى عليه والي البلد لمكانة هذا الراحل في الدنيا، طمعاً في ثواب الصلاة واتباع جنازة المتوفى، مثلما جاء في الحديث النبوي، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – ﷺ– قال: من اتبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً، وكان معه حتى يصلي عليها، ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين، كل قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط " [٤].

عندما مات العالم والشاعر الطليطلي عبد الله بن محمد عبد الرحمن بن أسد الجهني، ساكن قرطبة (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، "صلى عليه القاضي أبو العباس بن ذكوان" [٥]، ولما مات الشاعر المشهور أبو عامر بن شهيد (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)٠ صلى عليه جهور بن محمد بن جهور، وكان قد أوصى أن يصلي عليه أبو عمر الحصار، الرجل الصالح لكنة تغيب [٦]، وعند مات أبو بكر يحيي بن محمد بن يبقي ابن زرب (رجب

---

[١] ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ٤ ، ص ١٠١ ؛ ابن الأبار : المقتضب، ص١٢٥ ٠

[٢] ابن بشكوال : الصلة ، جـ١ ، ص ٦٨ ٠

[٣] ابن الأبار : المعجم ، ص ٨٧ ٠

[٤] البخاري : صحيح البخاري ، جـ١ ، ص ٤٥ ، ٤٦ ٠

[٥] ابن بشكوال : الصلة ، جـ١ ، ص ٣٨٥ ٠

[٦] الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٢٧ ٠

٤٤٧هـ/سبتمبر ١٠٥٥م)، صلى عليه ملك قرطبة أبو الوليد [١]، ولما توفى الراوي القرطبي أبو بكر محمد بن هشام بن محمد بن عثمان بن نضر، المعروف باسم المصحفي سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م، "صلى عليه القاضي عبيد الله بن أدهم [٢]، وعندما مات العالم الزاهد أحمد بن علي بن حكم بن عبد العزيز بن محمد ابن يوسف المعروف بالحصار، من أهالي غرناطة، مات فجأة في ربيع الأول ٥٩٨هـ/ نوفمبر ١٢٠١م" صلى عليه الوالي يومئذ وتبع جنازته".[٣]

أما كبار رجال الدولة، عند موتهم، فإنه يصلي عليهم بالقصور في مصلى خاص ويدفنوا في الروضة المعدة لذلك بحديقة القصر فعندما مات الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط في ٢٨ صفر ٢٧٢هـ/يوليو ٨٨٥م، كان ابنه المنذر بن محمد غائباً بكورة رية، في غزوة كان أبوه قد أرسله عليها، فوصله خبر موت أبيه، فعاد مسرعاً حتى دخل قرطبة يوم الأحد ٣ ربيع الأول ٢٧٢هـ/أغسطس ٨٨٥م، "فأدرك جنازة أبيه، وصلى مع الوزراء يومئذ عليه" [٤]، ولما مات الأمير، عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط، سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م، " دفن في قصر قرطبة مع أجداده الخلفاء وصلى عليه أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد الناصر"[٥]، ولما قتل المعتمد بن عباد – صاحب مملكة إشبيلية – الشاعر الوزير أبو بكر محمد بن عمار في سجنه صبراً سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م، "أمر بغسله وتكفينه وصلى عليه ودفنه بالقصر المبارك" [٦] وعندما توفى المؤرخ والجغرافي ابن الدلائي أحمد بن عمر بن انس بن دلهاث بن أنس، أبو العباس العذري الدلائي (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) وهو من أهل المرية، صلى عليه ابنه أنس بتقديم المعتصم

---

[١] ابن سعيد : المغرب ، جـ١ ، ص ١٦١ .

[٢] ابن بشكوال : الصلة ، جـ٣ ، ص ٨١٤ .

[٣] ابن الأبار : التكملة ، ق١ ، ص١١٣ .

[٤] مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها – رحمهم الله ، والحروب الواقعة بينهم ، تحقيق إبراهيم الإبياري ، دار الكتب الإسلامية، القاهرة – بيروت ، ط١ ، ١٩٨١ م، ص ١٣٢ .

[٥] ابن عذاري: البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ١٥١ ،

[٦] عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ١١٥ ،

ابن صمادح، صاحب مملكة المرية [1]، ولما توفى أمير المسلمين، أمير الجيوش نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر في ذي القعدة ٧٢٢هـ/نوفمبر ١٣٢٢م، ثم نقل في ٦ ذي الحجة ٧٢٢هـ/ديسمبر ١٣٢٢م، إلى غرناطة، صلى عليه إثر صلاة العصر وقد خرج إليه السلطان وجمع كبير من الناس ووضع سريره بالمصلى العيدي، وصلى عليه ثم دفن بمقبرة سلفه بالسبيكة [2].

وكما سبق القول، فإن الظروف غير الطبيعية التي تمر بالبلاد وتسبب حدوث الكوارث وموت كثير من الناس، فإن الأمر يؤدي إلى العجلة والتسرع في دفن الجثث، حتى لا تحدث الأوبئة وتنتشر، فيدفن الميت من غير غسل ولا كفن ولا صلاة في أغلب الأحوال، لكن كان من الممكن أن يتمكن البعض من الصلاة على موتاهم وقت حدوث الفتن، التي تضطرب فيها أمور البلاد، ويخشى الناس على أرواحهم، فعندما قتل المؤرخ القرطبي عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، المعروف بابن الفرضي، في الفتنة القرطبية في ٦ شوال ٤٠٣هـ/أبريل ١٠١٣م، وظل بضعة أيام دون دفن ثم وري التراب فدفن من غير غسل ولا كفن ولا صلاة بمقبرة مومرة [3]، كذلك عندما قتل العالم والراوي محمد بن هاشم بن محمد الأموي بالفتنة القرطبية سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م، دفن على عجل وتخوف "في ثيابه المختصرة دون غسل ولا صلاة عليه" [4]، ولما قتل المعتمد بالله بن محمد – صاحب مملكة إشبيلية – العالم والراوي الإشبيلي، محمد بن الحسن بن عبد الرحمن ابن عمر الهوزني سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م، " دفنه بثيابه وقلنسوته، وهيل عليه التراب، داخل القصر من غير غسل ولا صلاة " [5]، ولما قتل ذو الوزارتين أبو عبد الله بن أبي الخصال، في فتنة قرطبة سنة ٥٤٠هـ/١١٤٦م ونهبت داره وذهب ماله في يوم السبت ١٢ ذي الحجة ٥٤٠هـ/مايو ١١٤٦م، حمل إلى الربض الشرقي بحومة الدرب

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ، جـ٥ ، ص ٤٤٣؛ الضبي : بغية الملتمس ، ص١٨٤ ؛ وانظر
Balbas: *Cementerios Hispanomusulmanas*, p. 179, (Al-Andalus, vol XX 11, 1957)

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ٣ ، ص٣٤١ .

(٣) ابن بشكوال: الصلة ، جـ١ ، ص ٣٩٣ .

(٤) المصدر السابق، جـ٢، ص٧١٩ .

(٥) المصدر السابق، جـ٢، ص ٥٨٥ .

"فغسل هنالك وكفن ودفن بمقبرة ابن عباس"[1] ورغم أن النص لا يشير صراحة بكلمة الصلاة على ابن أبي الخصال، لكن هذا هو الطبيعي فبعد الغسل والكفن تأتي الصلاة ثم دفن الميت، ولأن قلنا أن الوقت، وقت فتنة لم تمكنهم من الصلاة على الميت، فإنه يمكن القول أن الصلاة كانت يمكن أن تتم في أي مكان آمن، ولو حتى داخل المكان الذي غسلوه وكفنوه فيه، في الربض الشرقي من قرطبة، وأن الذي مكنهم من الغسل والكفن، وهما يستغرقان وقتاً طويلاً، وأكثر بكثير من صلاة تستغرق أربع تكبيرات فقط، يمكنهم أيضاً من الصلاة على الميت.

جنازة الميت:

بعد أن يتم تجهيز الميت الأندلسي، من حيث غسله وتكفينه والصلاة عليه، تبدأ جنازته في طريقها إلى المقابر لدفن جثمانه، وكان هذا الجثمان يحمل في نعش[2] كما تسميه المصادر العربية، وكان هذا النعش يصنع من الخشب، ويتضح ذلك، عندما توفى المقرئ والنحوي المعروف بابن الباذش في المحرم ٥٢٨هـ/نوفمبر١١٣٣م، ومن شدة ازدحام الناس عليه "كسروا النعش"[3]، ولما مات أبو إسحاق البلفيقي سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م، ولاحتفال الناس بجنازته "كسر العامة نعشه واقتسموا أعواده تبركاً به"[4].

كما تذكر المصادر هذا النعش بلفظة "تابوت" [5]، ويقول ابن عبدون "يجب أن يزاد في طول توابيت القبور وفي سعتها قليلاً، فإني رأيت ميتاً قد أخرج من قبره ثلاث مرات، ويعالج التابوت في ذلك، ورأيت آخر يدخل فيه بالضغط"[6]، ومن هذا النص نلاحظ أن

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ٢ ، ص ٤١٦ .

(2) ابن الأبار: التكملة ، ق١ ، ٢٧٠ .

(3) ابن الأبار: المعجم ، ص ٢٨١ .

(4) المراكشي: السعادة الأبدية في تاريخ الدولة المراكشية، دار الكتب المصرية. ميكروفيلم رقم ، ٣٥٥٥٢، تاريخ ، ورقة ٩٣ ، ٩٤ .

(5) ابن عربي: الفتوحات المكية، جـ٢، ص ٣٧٣؛ المقري: نفح الطيب، جـ٤ ، ص ٣٣٤ .

(6) ابن عبدون: رسالة في القضاء والحسبة ، ٤٨ .

بعض المسلمين كانوا يحملون في تابوت ويتم دفنهم به، وربما كان التابوت ضيقاً، لذلك كان التنبيه بزيادة حجمه، كما نلاحظ أيضاً أن تلك الطريقة في الدفن بها تأثير نصراني، لأنه ليس من عادة المسلمين أن يدفنوا في تابوت .

ويذكر النعش أيضاً في المصادر بلفظة "وعاء خشب" [1] أو "السرير" [2]، وربما وقت الشدة، وفي الظروف المضطربة يحمل الميت على أي شيء ليدفن، وربما يكون حمله على "فردة باب خشب" [3].

كانت جنازة الأندلسي، تنال قدرها من الاهتمام في هذا المجتمع المسلم، ويحرص كل من يعرف الميت أولا يعرفه، إن مرت عليه الجنازة، أن يغبر قدمه ويسير في تلك الجنازات، لما لها من ثواب وأجر عند الله، كما أشار بذلك النبي ﷺ" [4] .

لذلك سوف نرى كم كانت هذه الجنائز، حافلة ضخمة، تجمع الخاص والعام من الناس، ثم أن كثيراً من الحكام كانوا يحرصون على حضورها، وإن كانت المصادر تشير في الأغلب إلى جنائز المشهورين من العلماء والفقهاء والقضاة والأدباء والشعراء وأهل الحكم والإدارة، فإن جنائز العامة من الناس، كانت أيضاً ولا شك، تحفل بالناس، لأن ذلك من حق المسلم على المسلم، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله – ﷺ– يقول:"من حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المربض، وإتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس" [5] .

كانت جثة الميت توضع في النعش، ويقوم الرجال بحمل النعش والسير به حتى المقابر ليدفن [6]، فإذا مرت الجنازة، فمن الناس من يقوم احتراماً لها، ومنهم من يتبعها

---

(1) ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ١ ، ص ١٦٨ .

(2) المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٣٤١ .

(3) ابن بشكوال: الصلة ، جـ٢ ، ص ٧١٩ .

(4) البخاري: صحيح البخاري، جـ١ ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

(5) المصدر السابق، جـ٢، ص ٣٤٩ .

(6) عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال : أن رسول الله– ﷺ– قال : " إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم ، فإذا كانت صالحة قالت قدموني، وأن كانت غير صالحة، قالت:

حتى يدفن الميت [1].

في ١٠ رمضان ٤٨٧هـ/سبتمبر ١٠٩٤م، مات الفقيه الزاهد عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي، المعروف بابن الغسّال، أبو محمد الطليطلي الأصل، الغرناطي المولد، وقد بلغ من العمر نيف وثمانين سنة، وقد "دفن في يوم مشهود، حشر إليه الناس رجالاً ونساء"[2]، وهذا النص الذي يبين ضخامة جنازة هذا الزاهد، واجتماع الناس من الرجال والنساء لتلك الجنازة، مع أن السنة النبوية تنهي عن اتباع النساء للجنائز، فعن أم عطية الأنصارية – رضي الله عنها – قالت: نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا" [3]، وكتب الحسبة تشير إلى أن المحتسب وأعوانه يقومون على تنفيذ التعاليم الإسلامية، فيما يختص بالجنائز ومنع النساء من اتباع الجنائز وزيارة القبور، إلا أن الواقع الفعلي، كما يفهم من النص السابق، يؤكد أن النساء كن يشاركن في الجنائز واتباعها، ولو لم يكن ذلك في كل الجنائز وفي أضيق الحدود .

ولما مات المقرئ والنحوي المعروف بابن الباذش، من أهل غرناطة، وقد نيف على الثمانين في ١٢ المحرم ٥٢٨هـ /نوفمبر ١١٣٣م، صلى عليه ابنه أبو جعفر عصر ذلك اليوم بالمسجد الجامع، "وشهده جمع عظيم وما وصل إلى قبره إلا مع الأصيل لازدحام الناس عليه، حتى كسروا النعش وانصرفوا من دفنه بين العشاءين، وجمع به الخاص والعام، وقد بكاه الناس" [4] ،

وكان بيبش بن محمد بن علي بن بيبش العبدري، وهو من أهل شاطبة، وقاضيها، ومعدوداً من أهل الشوري، والفتيا، قد توفى في شاطبة في ١٠ جمادى الأولى ٥٨٢هـ/يوليو ١١٨٦م، وعمره ثمانية وخمسين سنة، وصلى عليه في مسجده "وازدحم

يدويلها، أين يذهبون بها ؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ، ولو سمعه صعق " (المصدر السابق ، ص ٣٨٧) .

[1] عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – عن النبي – ﷺ – قال : إذا رأيتم الجنازة فقوموا فمن تبعها فلا يقعد حتى توضع " (المصدر السابق، ص ٣٨٦).

[2] الداوودي: طبقات المفسرين ، جـ١ ، ص ٢٤٩ .

[3] البخاري: صحيح البخاري ، جـ٢ ، ص ٣٦٩ .

[4] ابن الأبار: المعجم ، ص ٢٨١، المقتضب ، ص ١٢٥؛ ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ٤ ، ص١٠١ .

الناس على نعشه والتمسح بأكفانه" [1]، ولما مات العابد الزاهد أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونة الخزاعي ، وهو من أهل قسطنطانية من عمل دانية * وكان شيخ المتصوفة في وقته، وقد بلغ عمره عند موته ما يقرب من ١٠٠ سنة، فتوفى في ١٥ ذي القعدة ٦٤٣هـ/أكتوبر ١٢٢٧م، "وشهد جنازته بشر كثير من جهات شتى" [2] .

وكانت هناك جنازات يحضرها كبار رجال الدولة، فضلاً عن الخاصة من كبار القوم والعامة، لما كان يتمتع صاحبها من مكانة في الدنيا، فعندما توفى حبيب ابن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك، وهو الذي ساند الأمير عبد الرحمن الداخل في الأندلس، ومات في عهده وكان يتولى حكم طليطلة، فشهد عبد الرحمن "جنازته ومعه ستة

---

[1] ابن الأبار : التكملة ، ق١ ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

* دانيه : Denia ، بلدة قديمة ، كانت تعرف أيام الرومان باسم Dianium ، وتقع دانية في ركن منعزل على شاطئ البحر المتوسط، قبالة جزيرة يابسة Ibesa ، وفي منتصف المسافة بين بلنسية Valencia ولقنت Alicante ، ويربطها بلقنت خط حديدي خاص، وأرضها تجمع بين البسائط والتلال وتنتشر بها أشجار الزيتون وحقول الأرز وحدائق الفاكهة، ويوجد حولها بعض القرى ذات الأصول العربية مثل : بني دورم Benidorm وبني عيسى Benisa وبني لوبة Benilloba وبني مرفيل Benimarfill وغيرهم، وفي العصر الإسلامي لم تكن دانية من القواعد المشهورة ، إلا عندما أصبحت عاصمة لمملكة مستقلة ، تضم الجزائر الشرقية أو ما تعرف باسم جزر البليار Las Islas Baleares وهي منورقة وميورقة ويابسة ، وذلك فيما بين سنتي ٤٠٥ - ٤٣٦هـ /١٠١٤ - ١٠٤٤م ، تحت رياسة الموفق أبو الجيوش مجاهد العامري ، ثم ابنه إقبال الدولة علىّ ، الذي حكم بعده حتى سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٦م ، وكانت دانية في تلك الفترة مركزاً مهما للأسطول الأندلسي الذي يغزو مناطق البحر المتوسط، وكان لدانية أسوار منيعة ، وقصبة فوق ربوة صخرية ، تشرف على المدينة من الوسط والبحر من ورائها ، وقد سقطت دانية في يد الإسبان في سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م ، وفقدت منذ ذلك الحين دانية أهميتها ورخاءها ، حتى أصبحت على ما هي عليه اليوم ، فالقصبة عبارة عن مجموعة من الخرائب ، والبلدة صغيرة عتيقة الطراز ، لكن يبدو الطابع الأندلسي في دروب دانية ومساكنها (الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ٧٦، مجهول: ذكر بلاد الأندلس، جـ١، ص ٢٠١؛ وانظر: كليليا سارنللي تشركوا؛ مجاهد العامري قائد الأسطول العربي في غربي البحر المتوسط في القرن الخامس الهجري، طبع لجنة البيان العربي القاهرة، ط١، ١٩٦١م، ص ٧٥ ، ١٣٧ ، ٢٦٠ ؛ محمد عبد الله عنان ، دولة للإسلام في الأندلس ، جـ٨ ، ص١٤٥ - ١٤٧ .) .

[2] المقري : نفح الطيب ، جـ٢ ، ص ٥٠٦ .

من ولده" حتى واراه التراب[1]، ولما مات الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط في سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م، حضر جنازته وصلى عليه أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر[2]، وفي رجب ٤١٣ هـ/سبتمبر ١١٢٢م، مات قاضي الجماعة بقرطبة أبو العباس أحمد بن محمد بن هرثمة بن ذكوان، فلم يتخلف عن جنازته "كبير أحد من الخاصة والعامة وشهد الخليفة يحيي بن علي بن حمود جنازته" [3]، وعندما توفى المقرئ، عثمان بن سعيد الأموي، المعروف بابن الصيرفي، وهو قرطبي سكن دانية، في ١٥ شوال ٤٤٤هـ/يناير ١١٥٣م كان دفنه بعد صلاة العصر في اليوم الذي توفى فيه وقد "مشي السلطان أمام نعشه وكان الجمع في جنازته عظيما" [4]، والسلطان المقصود هنا هو حاكم دانية إقبال الدولة على بن مجاهد العامري (٤٣٦- ٤٦٨هـ/١٠٤٤ – ١٠٧٦م) [5]، ولما مات كبير المفتين بقرطبة محمد بن عتاب بن محسن، في صفر ٤٦٢هـ/ نوفمبر ١٠٦٩م، "شهد جنازته المعتمد على الله، محمد بن عباد، ومشي فيها راجلاً على قدميه"[6]، وهو صاحب مملكة إشبيلية في عصر ملوك الطوائف.

في مراكش سنة ٥٨١هـ /١١٨٥م، توفى العالم والحكيم والفيلسوف، أبو بكر بن طفيل، محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد القيسي، وهو من أهالي وادي آش Guadix، وقد "حضر السلطان يعقوب المنصور جنازته" [7]، وفي مراكش أيضاً، توفى الزاهد العالم، صاحب الكرامات والمنزلة العالية، ببلده المرية Almeria،أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السلمي البلفيقي الأندلسي، الذي تمنى أن يموت غريباً في البحر، فلما نزل مراكش، ثم مرض ومات بها سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م،احتفل الناس بجنازته احتفالا عظيماً، وحضرها الأمراء والكبراء، وكسر العامة نعشه، واقتسموا أعواده

---

[1] ابن الأبار: الحلة السيراء، جـ١، ص٦٠ .

[2] ابن عذاري: البيان المغرب، جـ٢، ص١٥١ .

[3] ابن سعيد: المغرب، جـ١، ص ٤٢١٦؛ ابن بشكوال : الصلة ، جـ١ ، ص ٦٨ .

[4] ابن بشكوال: الصلة، جـ٢، ص ٥٩٣ .

[5] ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢٥٣ .

[6] ابن بشكوال: الصلة، جـ٣ ، ص ٨٠٠ .

[7] ابن الخطيب: الإحاطة، جـ٢ ، ص ٤٨٢ .

تبركاً به، وقبره مشهور بمراكش، بسوق الرقيق، وبقرب ضريحه مسجد جامع ينسب إليه[1] .

ولما مات عالم أهل القراءات، علي بن عمر بن إبراهيم بن عبد الله الكناني القيجاطي، وهو من بسطة *Baza ، واستوطن غرناطة Granada ومات فيها في ٢٩ ذي الحجة ٧٣٠هـ /أغسطس ١٣٣٠م "وكان الحفل في جنازته عظيماً، حضرها السلطان واحتمل الطلبة نعشه" [2] .

وإذا ما مات أندلسي، مغضوب عليه من قبل حاكم البلاد، تكون جنازته مجرد التخلص منه ودفنه، فلا يحضرها أحد اللهم إلا أهله، ومن أو كل إليه بدفنه، فقد مات الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي، بعد قبض عليه وسجن، فأوكل المنصور محمد بن أبي عامر، على كاتبه محمد بن إسماعيل، مهمة تسليم جسده لأهله وولده، والحضور على

---

[1] المراكشي : السعادة الأبدية، مخطوط ، ورقة ٩٣، ٩٤ .

* بسطة : تقع Baza في أعماق واد منخفض في منطقة جبال سييرا نيفادا Sierra Nevada ، وهي من أعمال ولاية غرناطة، وتشرف عليها من الشمال الغربي آكام عالية، وهي مدينة قديمة ترجع إلى العصر الروماني، وفي عصرها الإسلامي كانت مدينة متوسطة ، قريبة من وادي آش، عامرة، حصينة، ذات أسواق وتجارة وصناعة، وهي من كورجيان، تميزت بأشجار التوت والزيتون والفواكه، وصنعة الحرير، وبها جبل يعرف بجبل الكحل، فاشتهرت بالمياه والبساتين وكان بفحصها حمة قوية، واشتهر من أهلها الأديب والشاعر أبو الحسن علي بن محمد بن شفيع البسطي، وقد ظلت بأيدي المسلمين ولم تسقط في يد النصارى إلا في سنة ٨٩٥ هـ/١٤٨٩م، بعد دفاع مجيد ، وكانت أيام مملكة غرناطة من قواعدها الزاهرة، وهي اليوم مدينة صغيرة ، بينها وبين لورقة Lorca ٨٠ كم ، وبينها وبين وادي آش ٦٠كم ، وبينها وبين غرناطة ٦٠كم،وهي بلد زراعي، تحيط بها الحدائق الغناء المليئة بأشجار الزيتون ،وبها صناعة للخرف والكتان، وما زال الطابع الأندلسي يبدو في مظاهر بسطة، وكنيستها الرئيسية المسماة San Maximo تحتل موقع المسجد الجامع القديم ، وما زالت توجد في بسطة بقية من أسوارها الأندلسية القديمة، وكذلك يوجد بها حمامان عربيان من عصر مملكة غرناطة ، وبسطة هي بداية ولاية غرناطة الحديثة. (الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص ٤٤، ٤٥؛ مجهول: ذكر بلاد الأندلس، جـ١، ص ٧٦ ؛ وانظر، عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، جـ٨ ، ص ٢٣٣، ٢٣٤) .

[2] ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ٤، ص١٠٧ .

إنزاله في لحده، ولم يكن عليه شيء يواريه إلا كساء خلق لبعض البوابين، فخرج الـنعش إلى قبره، "وما معنا سوى إمام مسجده المستدعي للصلاة عليه، وما تجاسر أحد منا النظر إليه"[1].

وإذا كانت الجنازة تتم في الظروف الطبيعية، بكل ما فيها من احتفال عظيم بالميت فإنه في ظروف الفتن والثورات والكوارث الطبيعية، كان لا يتم ذلك الاحتفال، لأن الناس تكون في خوف وهلع وفزع، فلا يكون غسل ولا صلاة ولا جنازة، ويدفن الميـت علـى عجل، وربما لا يمكن دفنه، لأنه لا توجد له جثة، قد مزقها القتلة وفرقوها، فلا تقبر[2] أو تطرح في العراء في أوقات الفتن والهرج، فتنتهبها الحيوانات والطيور، فـلا يعلـم لهـا قبر[3].

إرسال الطعام لأهل الميت :

كان من العادات الطيبة عند الأندلسيين، كما في المجتمعات الإسلامية، إرسال الطعام إلـى أهل الميت [4]، ولا شك أن الأندلسي، كان يعرف أن هذا ما أمر به النبي – ﷺ– فعن عبد الله بن عمرو– رضي الله عنهما– "أن رجلاً سأل النبي – ﷺ – أي الإسلام خير؟ قـال : تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف" [5]، فكان الأندلسي يتمثل السنة النبوية ويجعلها سلوكا وعادات طيبة يمارسها في حياته الاجتماعية، فكان إرساله للطعـام لأهل الميت، نوعاً من المشاركة لأهل الميت في مصابهم، وهو يعلم أن أهل الميـت فـي تلك الظروف لا يتفرغون لعمل الطعام وإعداده سواء لأهل البيت أو لمن جاءهم مواسـياً، فكان الأهل والجيران يقومون بتحمل هذه المشاركة، تخفيفاً عن أهل الميت .

---

(1) ابن خاقان : مطمح الأنفس، ص١٦٠ .

(2) ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ٢ ، ص ٤٧٤ .

(3) المصدر السابق ، ص ٥٦٢ .

(4) ابن عبد الرؤوف : في آداب الحسبة والمحتسب ، ص ٧٧ .

(5) البخاري : صحيح البخاري ، جـ١ ، ص ٢٢ .

الدعاء والثناء على الميت :

كان من عادات الأندلسيين الطيبة أيضاً، الدعاء لموتاهم والثنـــاء علـــيهم، وذكـــر حسناتهم، وعدم سب موتاهم [1]، وإن كان البعض – أحياناً يشمت في الميت، ربما لعداوة بينهم أو لسوء سلوك الميت ، لكن لجلال الموت لم تكن تظهر تلك الشماتة، بـــل نجـــد أن هذا الشامت يحضر جنازة المتوفى، بل ربما يترحم عليه ويدعو له، وإن لم يكن مخلـــصاً في ذلك، فعندما مات أبو المطرف عبد الرحمن بن بشر المعروف بابن الحصار، وكـــان شعوبي الرأي، هادمًا للشرف، ذي عجرفة، يزري به للتعريض، ويحب المماتنة الجالبـــة للعداوة، وكان قد أضاع قضاء الفريضة وقد ولوه بنو حمود القضاء، فتداولته الـــسعايات، فعزله هشام المعتد المرواني، حتى مات ابن الحصار في يوم السبت ١٥ شعبان ٤٢٢هـــ/ يوليو ١٠٣١م، ودفن بمقبرة العباس بعد صلاة العصر، فشهد جنازتـــه "الخليفـــة هـــشام كالشامت به، وكان الجمع في جنازته كثيراً" [2].

كان الأندلسي، إذا مات، كثر الدعاء له خاصة من أهله وأولاده الصالحين، الـــذين يدعون لموتاهم بالرحمة، وأن يكونوا في الجنة مع الصديقين والشهداء، وتعلـــوا ألـــسنتهم بالثناء الجميل على هذا الميت، حتى أن الميت قبل وفاته، كان يوصي بـــأن يـــدعوا لـــه الناس، وإذا ما وقفوا إزاء قبره، أن يترحموا عليه ٠

وقد أمدتنا المصادر ببعض تلك النصوص، التي توضح هذا الترحم والثنـــاء علـــى الميت ، فقد وجد مكتوباً على قبر الشاعر ابن الزقاق البلنـــسي، (ت ٥٢٨هـــ/١١٣٣م)، بعض أبيات، منها هذا البيت الذي يدعو فيه من وقف على قبره بالترحم عليه [3]:

---

(1) نهي النبي – ﷺ– عن سب الأموات ، فعن عائشة – رضي الله عنها– قالت : قـــال النبـــي – ﷺ : لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا " (البخاري : صحيح البخاري ، جـــ٢ ، ٤٣٤) ٠

(2) ابن سعيد: المغرب، جـــ١، ص ١٥٨ ٠

(3) المقري: نفح الطيب، جـــ٤، ص ٣٤٠ ٠

فمن مرَّ بي فليمض لي مترحمـاً ولا يكُ منـسياً وفـاء الأصـــادقِ

كما وجد مكتوباً على قبر الشاعر الأندلسي الشهير ، أبو إسـحاق بـن خفاجـة ، إبراهيم بن أبي الفتح (ت ٥٣٣هـ/١١٣٨م) ، ما يفيد ترحم الناس عليه بالـدعاء، فيمـا نصه [١]:

خليلـي هـل مـن وقفـة بتـألم على جـدثي أو نظـرة بتـرحم
خليلي هل بعـد الـردي مـن ثنيـة وهل بعد بطـن الأرض دار مخـيم
وأنّـا حيينـا أوردينـا لأخـوة فمن مـر بـي مـن مـسلم فليـسلم
ومـاذا عليـه أن يقـول محييـا ألا عم صـباحا أو يقـول ألا أسـلم
وفاء لأشـلاء كـرمن علـى البلـي فعاج عليهـا مـن رفـات وأعظـم
يردد طـوراً آهـة الحـزن عنـدها ويـذرف طـوداً دمعـة المتـرحم

ولما مات بسام بن أحمد بن حبيب بن عمرو بن عبد الله بن شاكر الغـافقي ، مـن أهل جيان وقد استوطن مالقة ، وتولى القضاء بالمنكب Almunecar ، فلما مات فـي ١٠ شعبان ٦٣١هـ/مايو ١٢٢٤م ، ودفن لصلاة الظهر بظاهر مالقـة ، فكـان "الجمـع فـي جنازته عظيما والثناء عليه جميلا" [٢]، وفي ٢٨ المحرم ٦٥٢هـ/فبراير ١٢٥٤م ، توفى الأديب والكاتب والتاجر، محمد بن إبراهيم بن على بن باق الأموي، وأوصى بعد أن حفر قبره بين شيخيه الخطيين أبي عبد الله الطنجالي وأبي عثمان بن عيسى ، أن يدفن بينهما ، وأن يكتب على قبره هذه الأبيات: [٣]

تـرحم علـى قبـر ابـن بـاق وحيـه فمن حق ميـت الحـي تـسليم حيـه
وقـل آمـن الـرحمن روعـة خـائف لتفريطـه فـي الواجبـات وغيـه
قد اختار هذا القبر فـي الأرض راجيـاً مـن الله تخفيفـاً بقـرب وليـه

---

[١] ابن الآبار: المقتضب ، ص ٢٤ ، ٢٥ .
[٢] ابن الآبار : التكملة ، ق١ ، ص٢٦٧ .
[٣] ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ٢ ، ص ٣٤٠ ، ٣٤١ .

فقـــد يـــشفع الجـــار الكـــريم لجـــاره ويـــشمل بـــالمعروف أهـــل نديـــه
وإني بفضـــــل الله أوثـــق واثـــــــق وحسبي وأن أذنبت حـــــــب نبيـــه

رثاء الميت :

لا يختلف الأندلسيون عن المشارقة في رثاء الميت ، والتفجع عليه والمغـــالاة فـــي وصفه [1] ، فكان من عادات الأندلسيين إذا توفى لهم ميت ، أن يرثوه بأبيات رائعة مـــن الشعر العربي ، تظهر ما كان لهذا الميت من خصال وحسنات ، وأثر فراقه في أنفسهم ، والشيء الجميل أن هؤلاء الأندلسيين فاقوا المشارقة في رثاء الممالك الأندلـــسية ، التـــي كانت تسقط في يد النصارى الإسبان [2] ، فكانوا يجهـــشون بالبكـــاء والعويـــل لتـــركهم بلادهم[3]، ويرثون مدنهم التي سقطت في يد النصارى، ويبكون على ترك قبورهم ، ومـــا فيها من موتاهم ، لذلك كان رثاء المدن عندهم رائعاً كما هو رثاء الميت ٠

والنصوص تتنوع في الرثاء ، حيث نجد الأخ يرثى أخاه ، والابـــن يرثـــى أبـــاه، والصديق يرثي صديقه ، أو يرثي والدة صديقه ، والحبيبة ترثي حبيبها، والزوج يرثـــي زوجته ، كل ذلك في أبيات جميلة معبرة عن مشاعر إنسانية صادقة وراقية٠

---

[1] بطرس البستاني : أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث ، جـــ٣ ، دار مارون عبود ، بيـــروت ، بدون تاريخ ، ص ٤٩ ٠

[2] يقول أبو البقاء الرندي يرثي مدن الأندلس التي أستردها النصارى :

دهي الجزيرة أمر لا عزاء لـــــه هوى له أحد وانهـــد ثهـــــــلان
فاسأل بلنسية ما شأن مرسيـــــــة وأين شاطبة أم أين جيـــــــــان
وأين قرطبة دار العلوم فكـــــــم من عـــالم قد سمـــا فيها له شـــان
وأيـــن حمص وما تحويه مـــن نزه ونهـــرها العـــذب فيـــاض ومـــلآن

(بطرس البستاني : أدباء العرب ، جـــ٣ ، ص ٥٤) ٠

[3] دو شاتو بريان : الإسلام في الأندلس ، آخر بني سراج ، ترجمة شكيب أرسلان ، دار مكتبة الحيـــاة ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ص ٢٩ ٠

فيقول ابن الزقاق البلنسي (ت ٥٢٨هـ/١١٣٣م) ، يرثي شقيقه "حسن" ، وكان قد توفى شاباً [١] :

على حسنٍ أفني دموعي حسرة ومن بعض ما أفني العزاء والتجلد

ولما أمر المستنصر بالله الموحدي ، أمير المؤمنين ، بضرب ابن غالب الداني ألف سوط وصلبه ، فضرب بإشبيلية خمسمائة فمات ، وضرب بقية الألف حتى تناثر لحمه ثم صلب في قسوة بالغة ، فقال ابنه أبو الربيع يرثيه [٢] :

جهلاً لمثلك أن يبكي لما قدرا وأن يقول أسي ياليته قبرا
فاضت دموعك أن قاموا بأعظمة وقد تطاير عنك اللحم وانتثرا

وعندما مات قاضي قضاة قرطبة ، ابن ذكوان (ت ٣١٤هـ/١٠٢٢م) ، رثاه الوزير الأديب ، أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد بأبيات يقول في بعضها [٣]:

يسير به النعش الأعز وحوله أبا عد راحوا للمصاب أقاربا
عليه حفيف للملائك أقبلت تصافح شيخاً ذاكر الله تائبا
تخال لفيف الناس حول ضريحه خليط قطا وافي الشريعة هاربا
إذا ما امتروا سحب الدموع تفرعت فروع البكا عن بارق الحزن لاهبا

وهذا أبو القاسم بن أبي طالب الحضرمي المنيشي، المعروف بعصا الأعمى لأنه كان يقود الأعمى التطيلي، الشاعر المشهور، يرثي والدة الكاتب والأديب الفتح ابن خاقان فيقول: [٤]

---

[١] ابن الزقاق : ديوان ابن الزقاق ، تحقيق عفيفة محمود ديراني ، دار الثقافة، بيروت بدون تاريخ ، ص ٣١ .
[٢] المقري : نفح الطيب ، جـ٣ ، ص ٣١٠ .
[٣] ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ١٩٧ .
[٤] المصدر السابق ، ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

استودع الله نوراً ضمنه كفن كما تواري بدور التم هالات
قضت وليت شبابي كان موضعها هيهات لو قضيت تلك الليانات
مضت وليس لكم من دونها أحد هلا وقد أعذرت فيها المروءات

ولما تنافس أبو سعيد، عثمان بن عبد المؤمن، من بيت أمير المؤمنين الموحدي، عبد المؤمن بن علي، على حب الشاعرة حفصة الركونية (ت ٥٨٦ هـ/١١٩٠م) وأراد أن يتفرد بحبها فدبر قتل حبيبها الوزير أحمد بن سعيد، فحزنت عليه ولبست الحداد، وجهرت بحزنها عليه، فتوعدوها بالقتل، فقالت ترثي حالها وحال حبيبها المقتيل في أبيات تقول:[1]

هددوني من أجل لبس الحداد لحبيب أردوه لي بالحداد
رحم الله من يجود بدمع أن يتوج على قتيل الأعادي
وسقته بمثل جود يديه حيث أضحى من البلاد الغوادي

وقد يرثى الزوج زوجه، مذكراً بما كان بينهما، ومظهراً عليها الوجد الشديد لفراقها، فتأتي الكلمات معبرة عن مشاعر الحزن العميق لهذا الزوج، فهذا هو الوزير أبو بكر بن القبطرنة، من أهل بطليوس Badajoz، يرثى زوجته [2]:

يا ربة القبر فوق القبر ذو حرق يرثي له القبر من شجو ومن شجن
تباينت منك أحوالي أسى ممضي إلى لقائك صبري طالب الوسن
وطالت القلب منك العين من كمد واسود بالغم وابيضت من الحزن

---

(١) ابن سعيد : المغرب ، جـ١، ص ١٣٨، ابن الخطيب : الإحاطة، جـ١ ، ص ٣١٧ ؛ ابن الأبار: المقتضب ، ص ٤٢٠، الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، مطبعة الدولة التونسية، ط١، ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م ، ص٧؛ وانظر، آنخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة د/ حسين مؤنس،القاهرة ، ١٩٥٥ م ، ص ١٢٧؛ عمر رضا كحالة: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، جـ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥ ، ١٩٨٤م ، ص ٢٧١ .

(٢) ابن خاقان : قلائد العقيان ، ص ١٥٤ .

ولما ماتت زوجة الشاعر والأديب أبو عامر محمد بن الحمارة، الذي أقام بغرناطة، وتعين بها، كما أقام بمكناسة من بر العدوة، وكان يهوي زوجته، فقال يرثيها [1] :

أزينـــت لن طعنـــت فـــإن ظهـــراً ... أقلـــك ســـوف يركبـــه المقـــيم
بايـــة حجـــة لسـعي لأنثـــي ... ســـواك وأنـــت هامـــدة هـــشيم
ولمـــا أن حللـــت التـــرب قلنـــا ... لقـــد ظلـــت مواقعهـــا النجـــوم
ألا يـــا زهـــرة ذبلـــت ســـريعاً ... أضـــنّ المـــزن أم ركـــد النـــسيم

الصدقة على الميت :

كان الأندلسي، يرى أنه من الخير أن يجري صدقة على الميت [2]، تـوزع علـى الفقراء، أو يفتدى بها بعض الأسرى أو توزع على قراء القرآن الكريم على قبر الميـت ، لذلك حرص الكثير من الأندلسيين على إخراج تلك الصدقات ، فقد كان بعـض الأهـالي يحبسون جزءاً من أموالهم، يعتبرونه صدقة على الميت يخصص لمن يقرأ القرآن علـى موتاهم في القبور [3]، وعندما مات التاجر التونسي الذي نزل بغرناطة، وهو محمـد بـن محمد بن عيد الرحمن التميمي المعروف بابن الحلفاوي (ت ٧١٥ هـ/١٣١٥م)، وضعوا على نعشه وقبره رائحة المسك، وتبرك الناس بجنازته، وقصد قبـره المرضـي وأهـل الحاجات، وبقي القراء يقرأون القرآن عليه مدة طويلة، وتصدق على قبره بجملة من مال،

---

[1] ابن سعيد : رايات المبرزين ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

[2] عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – ﷺ – قال : " إذا مات الإنسان انقطع عنه عملـه إلا من ثلاث صدقة جارية ، أو علم ينتفع به،أو ولد صالح يدعو له "(النووي : شرح النووي على صـحيح مسلم، جـ١١، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧م ، ص ٨٥ ؛ الشيخ محمد حـسان: خطب الشيخ محمد حسان، سلسلة في رحاب الدار الآخرة، جـ٩، دار ابـن رجـب، القـاهرة ، ط١، ١٤١٩هـ /١٩٩٨ م ، ص ١٧) .

[3] الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب، عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، جـ٧ ، وزارة الأوقاف المغربية، الرباط، ١٩٨١م، ص ١٣٩ .

ففدي به طائفة من الأسري، وقبره بباب البيرة عن يمين الخارج إلى مقبرة العسال، وهو معروف هنالك [1].

التبرك بالميت صاحب الكرامات :

كان الأندلسي، يعتقد في أصحاب الكرامات، وأن لهم مكانة بين الناس في الدنيا، ويحظون بمكانة طيبة عند الله في الآخرة، وما كان يظهر من كراماتهم، يزيد هذا الاعتقاد ويؤكده في هؤلاء الصالحين، فكان الناس يسعون إلى التقرب إليهم، والجلوس بين أيديهم، حتى إذا ما حضرتهم الوفاة، وحملوا على الأعناق، ازدحم الناس على جنازتهم، يتمسحون بأكفانهم، ويتبركون بنعوشهم، حتى أنهم كانوا يكسرونها أحياناً، بل ويداومون على قبورهم أياماً طويلة، يتبركون بهم، ويذهب إليهم أهل الحاجات عند قبورهم، ويدعون ربهم وحده، بحق هذا الصالح، ذو الكرامات أن يتقبل دعاءهم، ويقضي حوائجهم.

وقد أمدتنا النصوص العربية بروايات كثيرة عن أصحاب هذه الكرامات، وتبرك الناس بهم، مما يجعلنا نشير إلى بعضهم من أهل التقي والصلاح وأصحاب الكرامات، ففي سنة ٤٠٩هـ /١٠١٨م، توفى القرطبي النحوي محمد بن عمر بن عبد الوارث القيسي، وحكى أهله "أنه احتفر قبره قبل وفاته ببوم، وأعد أكفانه وجهازه وجعل يقول لهم: يوم الجمعة أدخل قبري إن شاء الله، فكان كذلك"، فكانت وفاته ودخوله القبر يوم الجمعة ١٥ ربيع الأول ٤٠٩هـ /يوليو ١٠١٨م [2] ،

ولما مات الواعظ أحمد بن أبي الربيع الألبيري، ساكن قرطبة، في جمادى الآخرة ٤٣٢هـ/فبراير ١٠٤١م ، حزن الناس عليه حزناً شديداً، "واظبوا على قبره أياماً تباعاً، يلوذون به ويتبركون به"[3]، وعندما مات الفقيه والراوي القرطبي، حكم بن محمد بن حكم بن محمد الجذامي، المعروف بابن إفرانك، سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، "رأي على نعش حكم

---

[1] ابن الخطيب: الإحاطة، جـ٣، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

[2] ابن بشكوال: الصلة، جـ٢، ص ٧٣٢ .

[3] المصدر السابق، جـ١، ص٩٠ .

بن محمد هذا، يوم دفنه طيوراً لم تعهد بعد، كانت ترفرف فوقه، وتتبع جنازته، إلـــى أن ووري في لحده، كالذي رئي على نعش عبد الله بن الفخار " [1].

وعندما مات العابد الزاهد، ابن العريف، أحمد بن محمد بن موسى بـــن عطـــاء الله الصنهاجي، من أهل المرية، في مراكش سنة ٥٣٦هـــ/١١٤١م، "احتفل الناس لجنازتـــه، وندم السلطان على ما كان منه في جانبه، وظهرت له كرامات" [2]، وكان الناس يقصدون قبر الأمير أبو زكريا، يحيـــى بـــن علـــى بـــن غانيـــة الـــصحراوي، المتـــوفى ســـنة ٥٤٣هـــ/١١٤٨م، في غرناطة "للتبرك به" [3]، وعندما تـــوفى قاضـــي شـــاطبة، بيـــبش العبدري، سنة ٥٨٢هـــ/١١٨٦م، " ازدحم الناس على نعشه والتمسح بأكفانه" [4].

وفي سنة ٦١٦هـــ/١٢١٩م، مات العالم، صاحب الكرامات، أبو إسحاق البلفيقـــي، نسبة إلى بلدة بلفيق Belfiq، فازدحم الناس في جنازته، حتى "كسر العامة نعشه واقتسموا أعواده تبركاً به" [5]، ولما مات العابد الزاهد أبو أحمد جعفر بن سيد بونـــة ، فـــي ســـنة ٦٢٤هـــ /١٢٢٦م، "انتاب الناس قبره دهراً طـــويلاً يتبركـــون بزيارتـــه حتـــى أجلـــي النصارى، المسلمين عن تلك البلاد" [6]، وعندما مات معلم كتاب الله، محمـــد بـــن أحمـــد الأنصاري، المعروف بالمُواق، من أهل غرناطة، قبل سنة ٧٥٠هـــ/١٣٤٩م بيسير "كلف الناس بقبره بعد موته، فأولوا حجارته من التعظيم، وجلب أواني المياه للمداواة، مـــا لـــم يولوه معشاره أيام حياته" [7] .

---

[1] المصدر السابق، ص٢٤٢ .

[2] ابن بشكوال: الصلة، جـ١، ص ١٣٧ .

[3] ابن الخطيب: الإحاطة، جـــ٤ ، ص ٣٤٧ .

[4] ابن الأبار: التكملة، ق١ ، ص٢٧٠ .

[5] المراكشي: السعادة الأبدية ، مخطوط ، ورقة ٩٤ .

[6] المقري: نفح الطيب، جـــ٢ ، ص ٥٠٦ .

[7] ابن الخطيب: الإحاطة، جـــ٣ ، ص ٢٣١ .

زيارة القبور :

كان من عادة الأندلسيين، أن يذهبوا إلى المقابر لزيارة موتاهم، سواء كانوا رجالاً أم نساء، ومع أن كتب الحسبة تنص على منع النساء من اتباع الجنائز وزيارة القبور، كما كن يمنعن من الاجتماع مع الرجال في المآتم [1]، إلا أن النساء كن يذهبن إلى زيارة من في القبور، في أيام معلومة وفي الأعياد، فمتى جاءت الأعياد تذهب النساء إلى المقابر وقد زينوها بالأزهار، وتقضي النساء أياماً حولها بالدعاء [2].

ولأن بعض المخرونات من النساء اللاتي يذهبن إلى المقابر، كن لا يدرين حالهن ، فيفترشن الأرض، وربما كن حاسرات الرأس، كاشفات الوجوه، لذلك كان من الواجب على المحتسب وأعوانه أن يحافظوا على حياء النساء، فكان على المحتسب ألا يترك أحداً في المقابر "من الباعة، فإنهم يكشفون على النساء المحزونات، ولا يترك الشبان أيام العيد يجلسون فيها على الطرق لاعتراض النساء[3] كما كان عليه أن يمنع من" يجلس في أفنية القبور لمراودة النساء " [4]، وأن يحرص على ألا تبسط القاذورات في أفنية المقابر [5]، حتى تظل تلك الأماكن نظيفة ومريحة وغير ضارة بمن يأتون إلى زيارة من في القبور، لذلك كان على المحتسب وأعوانه يقع هذا العبء حتى لا يحدث للنساء أثناء زيارتهن للقبور، أي نوع من المضايقات، سواء مراودتهن أو سرقتهن أو الإتيان بالفجور في تلك الأماكن [6]، حتى يغادرن هذا المكان بسلام .

ومثلما كانت النساء تقمن بزيارة القبور كان الرجال أيضاً يفعلون ذلك، ولكن مع اختلاف، فقد يلاحظ شدة عاطفة النساء في التفجع على الميت، فيلجأن إلى بعض الأساليب

---

[1] الجرسيفي : رسالة في الحسبة ، ص ١٢١ .

[2] جوستاف لوبون : حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسي البابي الحلبي، القاهرة ، ١٩٦٩ م، ص ٣٦٨ .

[3] ابن عبدون : رسالة في القضاء والحسبة ، ص ٢٧ .

[4] نفس المصدر والصفحة .

[5] نفس المصدر والصفحة .

[6] المصدر السابق، ص ٢٧ ، ٢٨ .

غير المحببة مثل النواح أو الصراخ أو لطم الوجوه أو شق الملابس، وغيرها، بينما الرجال يحسنون التحكم في تلك المشاعر الحزينة، فيذهبوا للقبور لقراءة بعض آيات القرآن، أو ليأخذوا العظة والعبرة من فقد هذا العزيز أو مشاركة لأهل الميت في مصابهم، والحديث عن أعمال الميت الخيرة وحسناته مما يخفف من وقع المصيبة على أهل الميت.

وكان يقوم الرجال من الخاصة والعامة على السواء بزيارة القبور، ويبدون تأدباً لتلك الأماكن، فكان إذا ذهب الأندلسي إلى المقابر، وكان يركب دابته ينزل عنها، ويمشي على رجليه ، تأدباً واحتراما لأصحاب هذه القبور، وحفظاً لحرمة تلك المقابر ، فقد ذكر محمد بن أحمد بن عيسى بن محمد بن منظور القيسي، المحدث الإشبيلي (ت شوال ٤٦٩ هـ/إبريل ١٠٧٧م)، أنه "لما سرنا إلى الزيارة وانتهينا إلى باب الخشبة، وهو الباب الذي يفضى إلى القبر، نزل رجل عن راحلته وأنشد:

نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة لمن بأن عنه أن نلمَّ فيه ركبا

فلما سمعه الناس نزلوا عن رواحلهم ومشوا إلى القبر[1]، ويفهم من النص أن البعض من الأندلسيين، كانوا يقدرون حرمة القبور، فينزلون عن رواحلهم ويسيرون على أقدامهم، ولا نشك في أن البعض منهم كان لا يفعل ذلك.

وفي سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م، توفى أمير غرناطة باديس بن حبوس الصنهاجي، فكان قبره موضعاً للزيارة والتبرك عند البعض، وكان يزدحم طلاب الحاجات والمستشفين من الأسقام، حتى أولو الدواب الوجيعة، ثم أهمل قبره وتحول إلى ما يشبه السوق لاعتقاد من جاء بعده من الحكام، أنه كان ذا جبروت وعتوة على الله فأهملوا مكانه [2]، وكان زاهد طليطلة أبو محمد عبد الله الغسال (ت ٤٨٧هـ /١٠٩٤م)، مشهور الكرامات وإجابة الدعوات وكان قبره إلى أيام مؤرخنا ابن سعيد الأندلسي "مكرم مزور" [3]، كما أن أمير

---

[1] ابن بشكوال : الصلة ، جـ٣ ، ٨٠٣ .

[2] ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ١ ، ص٤٤٢ .

[3] ابن سعيد : المغرب ، جـ٢ ، ص ٢١ .

المسلمين المرابطي، تاشفين بن علي يوسف بن تاشفين، قد "عكف على زيارة قبر أبي وهب الزاهد بقرطبة" [1]، وكان أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي، يذهب إلى تينملل، ببلاد المغرب، يزور قبر المهدي بن تومرت للتبرك به، وينظر في الاهتمام به [2]، وكان يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المؤمن بن على أمير المؤمنين الموحدي (٥٨٠-٥٩٥هـ /١١٨٤ - ١١٩٨م)،"يشهد جنائز الفقهاء والصلحاء، ويزورهم ويتبرك بهم. "[3]

---

(١) ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ١ ، ص٢٨١ .

(٢) ابن القطان : نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تحقيق د/ محمود على مكي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠ م ، ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٣) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ص١٤٢ .

عاني ، ودافع عن بلاده بكل قوة ، حتى استنفد وسائل المقاومة ، فأخذت مدنه تتساقط في أيدي نصارى الإسبان ، حتى أطاح الإسبان بآخر ممالك المسلمين في الأنـــدلس ، وهـــي مملكة غرناطة ، ومع كل تلك الظروف ، فإن هذا المجتمع واجه الحـــروب ، والكـــوارث الطبيعية من أوبئة ومجاعات وزلازل ، أدت إلى موت الكثيرين مـــن أهلـــه ، وتجـــرع الأندلسيون الألم على فراق موتاهم ، كما تجرعوه لفراق أوطانهم ، ولكنهم ظلـــوا حتـــى آخر عهدهم ببلاد الأندلس ، صناعاً لحضارة عظيمة ، كانت منارة فـــي عـــالم العـــصور الوسطى هنالك .

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولاً : المخطوطات:

البولوي (إبراهيم بن يوسف):

١ – أحكام الجنائز، دار الكتب المصرية، ميكروفيلم رقم ١٤٧٩، مصورات خارج الدار، أ .

المراكشي (محمد بن محمد بن عبد الله) :

٢ – السعادة الأبدية في تاريخ الدولة المراكشية، دار الكتب المصرية، ميكروفيلم رقم ٣٥٥٥٢، تاريخ .

ثانياً : المصادر العربية :

ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي– ت ٥٦٨هـ/١١٧٢م):

١ – التكملة لكتاب الصلة، ق١، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري /دار الكتاب اللبناني، القاهرة /بيروت، ط١، ١٩٨٩م .

٢ – الحلة السيراء، جـ١، ٢، تحقيق د/ حسين مؤنس، دار المعارف ، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥ م .

٣ – المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي على الصدفي، دار الكتاب العربي، القاهرة ، ١٩٦٧م .

٤ – المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتب الإسلامية، القاهرة / بيروت، ط٢، ١٩٨٢ م.

ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي – ت ٦٦٨هـ /١٢٦٩م) :

٥ – عيون الأنباء في طبقات الأطباء، جـ٣، تحقيق د/عامر النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م .

ابن أبي دينار (أبو عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني) :

٦ – كتاب المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ، مطبعة الدولة التونسية ، ط١ ،

١٢٨٦ هـ .

ابن أبي زرع (أبو الحسن على بن عبد الله – ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م) :

٧ – كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس، في أخبار بلاد المغرب، وتاريخ مدينة فاس، تصحيح وترجمة كارل يوحن تورنبرج، دار الطباعة المدرسية، أوبسالة، ١٨٤٣ م .

ابن الأثير (أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني– ت ٦٣٠هـ /١٢٣٢م) :

٨ – الكامل في التاريخ ، ج٩ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩م .

ابن الأخوة (محمد بن محمد بن أحمد القرشي– ت ٧٢٩هـ/١٣٢٩م) :

٩ – كتاب معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق د/ محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى المطيعى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م .

الإدريسي (الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسني ت ٥٤٨هـ /١١٥٣م) :

١٠ – صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مأخوذة من كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشردي غويه ودوزي، ليدن، ١٩٦٨م .

البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردذبه الجعفي. ت ٢٥٦هـ/٨٦٩-٨٧٠م) :

١١ – صحيح البخاري، جـ١، ٢، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ، ط٣، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

ابن بسام (أبو الحسن على الشنتريني – ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م) :

١٢ – الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق١ج٢ ، ق٤ ج١، تحقيق د/إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩م .

ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك – ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م) :

١٣ – كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم وفقهائهم وأدبائهم، ج١، ٢، ٣، ٤، نشر السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٩٥٥م .

البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز – ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) :

١٤ – المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثني، بغداد بدون تاريخ .

ابن بلكين (الأمير عبد الله بن زيري) :

١٥ – مذكرات الأمير عبد الله، آخر ملوك بني زيري بغرناطة المسمي بكتاب "التبيان" تحقيق ونشر ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥م .

ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد – ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م) :

١٦ – طوق الحمامة في الألفة والإلاف، تحقيق د/الطاهر أحمد مكي، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٨٥م .

الحميدى (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي– ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م):

١٧ – جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم– ت أواخر القرن ٩هـ/١٥م):

١٨ – صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من "كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار"، تحقيق ليفي بروفنسال، بدون مكان طبع أو تاريخ .

ابن خاقان (أبو نصر الفتح محمد بن عبد الله – ت ٥٣٥هـ/١١٤٠م) :

١٩ – قلائد العقيان، المطبعة الخديوية، بولاق، مصر، ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م .

٢٠ – مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، تحقيق محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣ ،

الخشني (أبو عبد الله محمد بن الحارث – ت ٣٦١هـ١٩٧١م) :

٢١ – قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتب الإسلامية، القاهرة /بيروت ، ط١، ١٩٨٢ م .

ابن الخطيب (أبو عبد الله لسان الدين محمد بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني– ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) :

٢٢ – رقم الحلل في نظم الدول، طبع المطبعة العمومية، تونس، ١٣١٦هـ

/١٨٩٨م ٠
٢٣ – ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، جـ٢، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط١، ١٩٨١ م ٠
٢٤ – كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة، ٤ أجزاء، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط١، ١٩٧٥ – ١٩٧٧م ٠
٢٥ – كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام، نشره وصححه ليفي بروفنسال، المطبعة الجديدة، رباط الفتح، ١٩٣٤م ٠
٢٦ – كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق محمد كمال شبانة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، بدون تاريخ ٠
٢٧ – مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (مجموعة من رسائله) ٠ تحقيق د/ أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٣م ٠

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد – ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) :

٢٨ – كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، جـ٤، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١م ٠

ابن خير (أبو بكر محمد بن خبر بن عمر بن خليفة – ت ٥٧٥هـ/١١٧٩م) :

٢٩ – فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، تحقيق فرنسشكة قدارة زيدين وخوليان ريبيرا، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ومؤسسة الخانجي بالقاهرة، ط٢ ، ١٩٦٣ م ٠

الداوودي (شمس الدين محمد بن علي بن أحمد – ت ٩٤٥ هـ /١٥٣٨م) :

٣٠ – طبقات المفسرين ، جـ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣م ٠

ابن دحية (أبو الخطاب عمر بن الشيخ الإمام أبي على – ت ٦٢٣هـ١٢٢٦م) :

٣١ – المطرب في أشعار أهل المغرب ، تحقيق مصطفي عوض الكريم ، مطبعة

مصر ، الخرطوم ، ط١ ، ١٩٥٤م .

ابن الدلائي (أحمد بن عمر بن أنس العذري – ت ٤٧٨هـ /٩٨٨م) :

– نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان، والمسالك إلى جميع الممالك"، تحقيق د/ عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥م .

الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان – ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م) :

٣٢ – سير أعلام النبلاء، جـ٢١، ٢٣، تحقيق مجموعة من العلماء بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣– ١٩٨٥م .

ابن الزبير (أبو جعفر أحمد) :

٣٣ – صلة الصلة، جـ٧، القسم الأخير ، صححه ليفي بروفنسال، الرباط، ١٩٣٧ م .

الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤي) :

٣٤ – تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، مطبعة الدولة التونسية، ط١، ١٢٨٩ هـ /١٨٧٢م .

ابن الزقاق (أبو الحسن على بن عطية البلنسي – ت ٥٢٨هـ/١١٣٣م) :

٣٥ – ديوان ابن الزقاق، تحقيق عفيفة محمود ديراني، دار الثقافة ، بيروت ، بدون تاريخ

ابن سعيد (علي بن موسى – ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) .

٣٦ – اختصار القدح المعلي في التاريخ المحلي، اختصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل، تحقيق إبراهيم الإبياري، المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٥٩م .

٣٧ – رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق د/ محمد رضوان الداية، دار طلاس، دمشق، ط١، ١٩٨٧م .

٣٨ – المغرب في حلي المغرب، جـ١، ٢، تحقيق د/شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م .

السقطي (أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي) :

٣٩ – كتاب في آداب الحسبة، تحقيق كولين وبروفنسال، المطبعة الدولية بـــاريس، ١٩٣١ م ٠

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر – ت ٩١١هـــ/١٥٠٥م) ٠

٤٠– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ج١، تحقيق محمـــد أبـــو الفـــضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ ٠

ابن شاكر الكتبي (محمد بن شاكر بن أحمد – ت ٧٦٤هـــ/١٣٦٢م) :

٤١ – فوات الوفيات (وهو ذيل على وفيات الأعيان لابن خلكان)، جـــ٣، تحقيـــق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥١م

الضبي (أحمد بن يحيي بن عميرة – ت ٥٩٩هـــ/١٢٠٣ م) :

٤٢ – بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، القـــاهرة ، ١٩٦٧م ٠

ابن عبد الرؤوف (أحمد بن عبد الملك) :

٤٣ – رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهـــد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م ٠

عبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٧هـــ/١٢٤٩م) :

٤٤ – المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق د/ محمد زينهم محمـــد عـــزب، دار الفرجاني، القاهرة، ١٩٩٤م ٠

ابن عبدون (محمد بن أحمد التجيبي – من رجال القرن ٥هـــ/١١م) :

٤٥ – رسالة في القضاء والحسبة، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهـــد العلمـــي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م ٠

ابن عذاري (أبو عبيد الله محمد المراكشي – كان حياً سنة ٧١٢هـــ ١٣١٢م) :

٤٦ – البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، جـــ٢، ٤، تحقيق كولان وليفي بروفنسال ود/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م ٠

ابن عربي (محيي الدين – ت ٦٣٨هـــ/١٢٤٠م) ٠

٤٧ – الفتوحات المكية، في معرفة الأسرار الملكية، جـــ٢، تحقيق د/ عثمان يحيي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢ – ١٩٧٧م

ابن هذيل (أبو الحسن على بن عبد الرحمن العذاري) :
٥٦ – تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، جـ١، نشر لويس مرسية، المطبعة الشرقية، باريس، ١٩٣٦ م ٠
الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحيي محمد التلمساني) :
٥٧ – المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج٧، وزارة الأوقاف المغربية، الرباط،١٩٨١م ٠
ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله – ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) :
٥٨ – معجم البلدان، جـ٣، ٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م
مؤلف مجهول :
٥٩ – أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها – رحمهم الله – والحروب الواقعة بينهم، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، بيروت، ط١، ١٩٨١م ٠
٦٠ – ذكر بلاد الأندلس، جـ١، تحقيق لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٨٣م ٠
٦١ – كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، نشره وصححه ي٠س ٠علوش، المطبعة الاقتصادية، رباط الفتح، ١٩٣٦ م ٠

ثالثاً : المراجع العربية والمعربة :

إحسان عباس:
١ – تاريخ الأدب الأندلسي،عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت، ط٧، ١٩٨٥ م ٠
أحمد مختار العبادي:
٢ – دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، بدون تاريخ ٠
٣ – صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٠م ٠
السيد عبد العزيز سالم:

٤ – تاريخ مدينة المرية الإسلامية، قاعدة أسطول الأندلس، مؤسسة شباب للجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٤م .

٥ – تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، بدون تاريخ .

٦ – المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦م.

آنخل جنثالث بالنثيا :

٧ – تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة د/ حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٥٥م .

بطرس البستاني:

٨ – أدباء العرب في الأندلس، عصر الإنبعاث، جـ٣، دار مارون عبود، بيروت، بدون تاريخ .

جوستاف لوبون :

٩ – حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسي البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٩م .

دو شاتو بريان :

١٠ – الإسلام في الأندلس، آخر بني سراج، ترجمة شكيب أرسلان، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٨٥م .

رينهارت دوزي :

١١ – المسلمون في الأندلس، جـ٢، ترجمة د/ حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م .

سعيد سيد أحمد أبو زيد:

١٢ – الحياة الاجتماعية في الأندلس، عصر دولتي المرابطين والموحدين (٤٨٤-٦٢٠هـ ١٠٩١- ١٢٢٣م)، شركة الهدى للطباعة بقويسنا / مصر، ط١، ١٩٩٦م .

١٣ – خيران العامري، صاحب مملكة المرية الأندلسية، التركي للطباعة بطنطا / مصر، ط١، ١٩٩٨م .

١٤ – المرية في عصر بني صمادح (٤٣٣ – ٤٨٤هـ /١٠٤١ – ١٠٩١م) دار

الحسين للطباعة بشبين الكوم/ مصر، ط١، ٢٠٠٣م ٠

علي محمد محمد الصلابي:

١٥ – إعلام أهل العلم والدين بـأحوال دولـة الموحـدين، دار التوزيـع والنـشر الإسلامية، القاهرة، ط١ ، ٢٠٠٣م ٠

عمر رضا كحالة:

١٦ – أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، جـ١، مؤسسة الرسالة، بيـروت، ط٥، ١٩٨٤م ٠

كليليا سارنللي تشركوا :

١٧ – مجاهد العامري قائد الأسطول العربي في غربي البحر المتوسط في القـرن الخامس الهجري، طبع لجنة البيان العربي ، ط١ ، ١٩٦١م ٠

كمال السيد أبو مصطفى:

١٨ – مالقة الإسلامية في عصر الطوائف، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٩٠م ٠

ليفي بروفنسال :

١٩ أدب الأندلس وتاريخها، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، المطبعـة الأميريـة، القاهرة، ١٩٥١م ٠

محمد حسان:

٢٠ – خطب الشيخ محمد حسان، سلسلة في رحاب الدار الآخرة، جـ٩، دار ابـن رجب، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ٠

محمد عبد الله عنان:

٢١ – تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٤٧م ٠

٢٢ – دولة الإسلام في الأندلس، الآثار الأندلسية الباقية في إسـبانيا والبرتغـال ، جـ٨، مكتبة الأسرة، القاهرة ، ٢٠٠٣ م ٠

مصطفى الشكعة:

٢٣ – الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، دار العلـم للملايـين، بيـروت، ط٦ ، ١٩٨٦م ٠

رابعاً : المراجع الأجنبية :

Albornoz (Claudio Sanchez) :

1 –*La España Musulmana, según los autores islamitas y Cristianos medievales* , tomo II, Florida, Cordoba, Buenos Aires .

Ballester. (Rafael) :

2 – *Histoire d'Espagne de origines anos jours* , Paris, 1938 .

Descola (Jen) :

3 – *Histoire d'Espagne*, Paris, 1959 ,

Dozy (R.) :

4 – *Spanish Islam* , London , 1913 .

Scott (S .P.):

5 – *History of the Moorish Empire in Europe*, vol II , Philadelphia , London , 1904 .

.....:

6- *Diccionario de Historia de España*,Tomo.1, Madrid, 1952.

خامساً : الدوريات العربية :

مجلة التاريخ العربي (تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة – الرباط) :

١ – نجاة المريني: وصايا وتوقيعات أندلسية من خلال مخطوط "رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير" لأبي القاسم محمد بن أبي العلاء بن سماك العاملي (العدد الثالث ، صيف ١٤١٨هـ /١٩٩٧م) .

المجلة التاريخية المصرية (القاهرة) :

٢ – محمد توفيق بلبع: غرناطة وقصر الحمراء، مقدمة في تاريخ المدينة والأهمية المعمارية للقصر . (المجلد ١٦، ١٩٦٩م) .

مجلة المؤرخ العربي (تصدرها الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب – بغداد) :

٣ – داود عمر عبيدان: بوادر ضعف العرب في الأندلس وسقوط الثغر الأدنى – طليطلة (العدد ٣٤، السنة ١٣، ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧م)

سادساً : الدوريات الأجنبية :

AL – Andalus (Madrid – España) :

Balbas (Leopoldo Torris) :

1 – *Almeria Islamica* (vol XX11, 1957) .

2 – *Cementerios Hispanomusulmanas* . (vol XX 11, 1957) .

3 – *EL Arte de AL–Andalus Bojo los Almoravides*, vol XVll, 1952)

4- *Los Contornos de las ciudades Hispanomusulmanas*. (volXV, 1950) .

Hespéris:

Miranda (Ambrosio Huici):

5 – *La Invasion los Almoravides y la Batalla de Zallaka* (tome XI , 1953) .

سابعاً : مواقع على شبكة الانترنت :

١ – د/ عبد الله محمد العمراني: الطب الأندلسي، نظرياته وتطبيقاته (المملكة المغربية)

- http://www.islamset.com/arabic/aheritage/alomran.

٢ – مواقع عن تاريخ المسلمين في إسبانيا باللغة الإسبانية

- http://www.humnet.ucla.edu/santiago/timetext.
- http://www.Lapaginadefinitiva.com/historia/49.